أعلام الإمامية

الكتاب الثاني

الإمام الثائر

السيد مهدي الحيدري

بقلم

السيد احمد الحسيني

الطبعة الاولىٰ ١٣٨٦هـ ق

الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ ق

نَسَبه الشريف

ورث سيدنا صاحب الترجمة ـ رضوان الله عليه ـ العلم والشرف والسؤدد، كابراً عن كابر، وخلفاً عن سلف، فآباؤه الأطهار وأهل بيته الأبرار، جلّهم بل كلهم من العلماء والفضلاء والأجلاء. ثم ينتهي نسبه الشريف إلى الأئمة الطاهرين، ويتصل بخاتم النبيين صلى الله عليه وعليهم أجمعين.

ومن قد غدا أزكى النبيين جدّه تناهى فما أبقى عُلىً لمجّد

وما منهمُ قد ساد إلاوساده فتى ينتمي مجداً لآل محمد

فهو السيد مهدي ابن السيد أحمد ابن السيد حيدر ابن السيد إبراهيم ابن السيد محمد الشهير بالعطار ابن السيد علي بن سيف الدين بن رميثة بن رضاء الدين بن محمد علي بن عطيفة بن رضاء الدين بن علاء الدين بن مرتضى بن محمد ابن الأمير حميضة شريف مكة ابن الشريف أبي نمي ابن الشريف الحسن ابن الشريف علي ابن الشريف قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسين السديد بن سليمان بن علي بن

عبد الله بن محمد بن عبد الله الأكبر بن محمد الأكبر بن موسى الثاني بن عبد الله الرضا بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى ابن الإمام الحسن السبط ابن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وعلى أولاده الطاهرين.

أسرته وأهل بيته

انحدر سيدنا المترجم له ـ عطر الله ثراه ـ من الأصلاب الطاهرة، والأرحام المطهرة، وترعرع في بيت يموج بالعلم والفضل، ويزخر بالأدب والكمال، ويفخر بالبطولة والجهاد، ويتميز بالعبقرية والنبوغ، فأكثر أفراد أسرته هم ممن قذف الله في قلوبهم نور العلم والمعرفة، وزينهم بلباس الورع والتقوىٰ، وقلدهم قلائد المجد والسؤدد، حتىٰ أشاد بقدرهم ونوه بذكرهم كثير من الكتّاب والعلماء والشعراء، وسائر طبقات الناس، وسجّلت مآثرهم ومفاخرهم صحائف التأريخ بأحرف من نور.

جاء في مجلة المرشد[1] التي كانت تصدر تحت إشراف العلامة الحجة الكبير السيد هبة الدين الشهرستاني، عند ذكر هذه الأسرة الكريمة، مانصه: «آل السيد حيدر بيت علم سابق، ومجد سامق، من أسر العراق الشريفة العريقة بالمجد والسؤدد، الشهيرة بالعلم والفضل والأدب والحسب والنسب. ورث الحيدريون العلم والشرف خلفاً عن سلف، وناهيك من فضلهم

١ـ الجزء ٨ من المجلد ٢ الصادر سنة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م.

ونبوغهم وعبقريتهم أنهم بلغوا من الاشتهار في سائر الأقطار مالايحتاج إلى بيان، أو إقامة دليل وبرهان.

تقيم هذه الأسرة السَرية، والسلسلة الطاهرة الذهبية، في مدينة الكاظمية المقدسة، وفي العاصمة بغداد، منهم بيوت معروفة، وربما اقام بعضهم في النجف الأشرف، لتحصيل العلوم الدينية والآداب العربية.

وينتهي شريف نسب هذه الأسرة، من جهة الأب إلى الإمام الحسن بن علي﴿عليهما السلام﴾، ومن جهة الأم إلى الإمام الحسين بن علي﴿عليهما السلام﴾، شهيد الطف، فهي: «حسنية حسينية».

❊ ❊ ❊

وقال عنهم شيخ المحققين والمؤرخين العلامة النوري ـ أعلى الله مقامه ـ في كتابه «جنة المأوى»، عند ذكره لعلامة عصره السيد محمد الحيدري ـ طاب ثراه ـ شقيق سيدنا المترجم له، مانصه:«وهو من أجلة تلامذة المحقق الأستاذ الأعظم الأنصاري ـ طاب ثراه ـ وأحد أعيان أتقياء بلد الكاظمين﴿عليهما السلام﴾، وملاذ الطلاب والزوار والمجاورين.

وهو وإخوته وآباؤه أهل بيت جليل، معروفون في العراق، بالصلاح والسداد والعلم والفضل والتقوى، يعرفون ببيت السيد حيدر..».

ومدحهم الشاعر الكبير، والأديب الخالد الذكر، الشيخ جابرالكاظمي ـ صاحب تخميس الأزرية ـ بقصائد كثيرة، منها قوله:

كرام لقد سادوا الكرام بمحتد سما رفعة في مجده كل محتد

نمتهم إلى غر المكارم سادة ومدت بضبعيهم إلى كل سؤدد
زكت في الورى أعراقهم فزكت لهم عناصر قد متّت بأكرم مولد
فما بعد هذا المجد مجد لماجد وما بعد هذا الفضل فضل لأصيد
لذا قد غدا أزكى الورى «آل حيدر» وأكرم أبناء العلى «آل أحمد»
همُ ورثوا العلياء من كل أمجد توارثها عن سيد بعد سيد
وكل فتى منهم يلفع بالعلى وبالعلم والتقوى وبالمجد يرتدي
وكلّ به في شرعة الحق يقتدي وكلّ به في منهج الرشد يهتدي
وهم قلدوا جيد الوجود مناقباً يروح ـ دوام الدهر ـ فيها ويغتدي
تطوّق منهم بالعلى كل عاطل وقلد بالمعروف كلّ مقلد
وكم بدّدوا بين البرية من ندى به جمعوا للمجد كل مبدّد
أعاروا البرايا العلم منهم، ومنهمُ تعود بثَّ الجود من لم يعوّد

❊ ❊ ❊

ومدحهم الشاعر الأديب المرحوم الشيخ محمد سعيد النجفي، بقوله:

شهب فضل سما العلوم أنارت بسناها إذ أشرقت في سماها
من تراه منهم تراه الإمام الحبر فيها، والناسك الأوّاها
وبحار طمّت بزاخر جود زاخر البحر قطرة من نداها
وأباة كالأسد يوم إباء من ترى يجحد الأسود إياها؟
عنهمُ تنشأ العلى، وإليهم يسند المكرمات من قد رواها
ياسراة بفضلها أنزل الذكر فهل يبلغ القريضُ علاها؟

أنتم القادة التي إن دهى الخطب بكم كان للأنام اقتداها
إن تمادت غياً فمنكم حجاها أو أظلت رشداً ففيكم هداها

❊ ❊ ❊

ومدحهم الشاعر الفاضل المرحوم الشيخ صالح الحريري بقوله:

هذي «بنوحيدر»أضحت بدور هدى كل له من أبيه قد حوى الشرفا
هم البهاليل دون الناس كلهم وفي مناقبهم كلّ قد اعترفا
فالناس قد أخذت عنهم بما عملت إذ فيهم يقتدي هذا الورى وكفى

❊ ❊ ❊

ومدحهم المرحوم العلامة الكبير السيد صادق الهندي بقوله:

يا آل حيدر بيت المجد بيتكم أنتم كرام وأنتم سادة نجبا
بيت علا في ذرى العليا فتوجها المجد المؤثل والأفضال لا الذهبا
ماكان قصدي بنظمي حصر فضلكم لكن لأبلغ من أوصافكم إربا

❊ ❊ ❊

إلى مئات من أمثال هذا الشعر الرفيع، وهذه العواطف الصادقة، من مئات الشعراء والأدباء، فى مختلف العصور ومختلف المناسبات.

في مثل هذا البيت درج سيدنا العظيم ـ رضوان الله عليه ـ يقتبس خصاله، ويستوحي جلاله، ويتفيأ ظلاله، وينهل من معينه الثر، ويرتشف من منهله العذب، فتأثر به إلى حد كبير، واكتملت فيه العبقرية الفذة، والبطولة النادرة، والطموح العجيب، ونمت فيه المواهب العالية، والخصائص

الفريدة، والصفات الغر، حتى بلغ القمة من العلم، والذروة من الفضل، والغاية من الكمال، وحتى أصبح قائداً ورائداً لأمته في عصره، تقتفي أثره، وتترسم خطاه، وتستضيء بنوره.

مولده ونشأته وتحصيله

ولد رحمه الله في الكاظمية المقدسة، في حدود سنة ١٢٥٠ هـ وترعرع في ظل أبيه، وتلقى عنه الكثير من الصفات العالية، والمزايا الكريمة، وورث عنه وعن آبائه الطاهرين حب العلم، والشغف به، والعكوف عليه، كما ورث عنه وعنهم قوة الإرادة، وسمو النفس، وصلابة العقيدة، وحسن السيرة، وصفاء السريرة، والعفة والشجاعة والإباء، وغيرها من الصفات والملكات. وقد ظهرت عليه ـ منذ طفولته ـ مخايل الفطنة والنبوغ، وبدت عليه دلائل العبقرية والكمال.

ولما توسّم فيه والده ـ قدس سره ـ الرغبة في الدراسة والتحصيل، هيأ له الوسائل والأسباب، وتولاه بالتربية العالية والرعاية التامة، وصار يغذيه بعلمه وفضله وأخلاقه، وينمّي فيه تلك المواهب والطاقات، وعهد به إلى عدد من الأساتذة الماهرين، فتلقى في مدينة الكاظمية المقدسة دروسه الأولى، حتى نال حظاً وافراً من الفضل، وظهر نبوغه في جميع المجالات.

❊ ❊ ❊

هجرته إلى النجف الأشرف وسامراء المقدسة

لما فرغ في الكاظمية من السطوح، تاقت نفسه الكبيرة إلى المزيد، وتطلعت إلى بلوغ أعلى الدرجات، وأرفع المقامات، وأسمى الغايات، فهاجر إلى عاصمة العلم والدين «النجف الأشرف»، وانقطع إلى الاشتغال والتحصيل، ولازم الدرس والبحث، وقرأ على فطاحل العلم، وجهابذة الفن، وأساطين العصر، كالمحقق الأعظم الشيخ مرتضى الأنصاري، فى أواخر أيامه، والحجة الكبرى الشيخ محمد حسين الكاظمي، والعلامة الحبر الميرزا حبيب الله الرشتي.

وكان جل دراسته على أستاذه الأكبر الإمام المجدد الميرزا محمد حسن الشيرازي ـ قدس الله اسرارهم جميعاً ـ وكان إذا جاء إلى الكاظمية المقدسة في بعض الفترات لايدع الوقت يذهب عليه سدى، بل يحضر بحث آية الله الشيخ محمد حسن آل ياسين ـ طيب الله ثراه ـ

وبقي في النجف الأشرف على هذا الحال من الاشتغال والتحصيل، يدرس ويدرِّس، ويحاضر ويناظر، وقد تخرج على يده عدد كبير من العلماء والفضلاء، حتى هاجر أستاذه الشيرازي الكبير من النجف إلى سامراء فهاجر معه، لأنه كان من أبرز تلامذته، وأقربهم إليه، وأدناهم منه، وكان هو

أول من هاجر إلى سامراء معه، وأول من شد أزره، وعزز مركزه، ولم يزل معه مجدّاً في طلب العلم، ومكباً على الدرس والبحث، دون كلل أوملل، حتى بلغ منزلة كبرى في الاجتهاد، ونال ما كان يطمح له ويتطلع اليه. فعاد إلى عرينه في الكاظمية، وتقلد فيها مقاليد الإمامة العامة، والزعامة المطلقة، ورجع كثير من الناس إليه في التقليد، بعد وفاة الإمام الشيرازي الكبير ـ طيب الله ثراه ـ

❊ ❊ ❊

مكانته العلميّة والدينيّة

قال عنه مترجموه ومقدرو فضله: إنه الإمام الأعظم، والصراط الأقوم، سيد العلماء والمجتهدين، وصفوة الفقهاء والأصوليين، وقدوة المصلحين والمجاهدين، ملاذ الأمة وسنادها، وكهف الشريعة وعمادها، الذي اتفقت الكلمة على علميته، وقداسته، وطهارته، وعدالته، وعظمته.

أثنى عليه كثير من أرباب السير والتراجم، وأشادوا بعلمه ومقامه:

منهم المرحوم المجتهد الكبير، السيد محسن الأمين في أعيانه، فأثنى عليه الثناء العاطر، وقال عنه: إنه عالم فقيه، وإن له رئاسة علمية في عصره، وإنه من بيت علم وسيادة. وأشاد بأخلاقه الفاضلة، وسيرته المثلى، وقال: إنني رأيته مراراً، وحادثته، فأعجبت به. وذكر دراسته في النجف الأشرف وسامراء والكاظمية، واشتغاله فيها بالدرس والتدريس والتأليف، ثم ذكر اشتراكه في جهاد الإنكليز في الحرب العالمية الأولى.

ومنهم المرحوم العلامة المحقق، الشيخ محمد حرز الدين في معارفه، فنوّه بعلمه وعظمته وجهاده، وقال: إنه العالم الفقيه، المجاهد الثقة الأمين. ثم وصف

مكانته السامية، وزعامته العلمية والدينية، وأنه كان مقدماً، وبارزاً، ونافذ الكلمة، ومطاعاً عند الأكابر والوجوه.

وذكر أيضاً هجرته الأولى الى النجف الاشرف، وتلمذته على أقطاب العلم والتحقيق، وهجرته الثانية الى سامراء، وملازمته لدرس أستاذه العظيم الميرزا محمد حسن المجدد الشيرازي، ثم عودته إلى بلده «الكاظمية» مجتهداً جامعاً ـ على حد تعبيره ـ وأشار الى من تخرّج على يده من الأفاضل، وأشاد بموقفه العظيم في جهاد الكافرين، حين أرادوا احتلال العراق، في الحرب العالمية الاولى، وكيف أبلى فيه مع إخوانه العلماء الأعلام أحسن البلاء.

وأشاد بذكره الشريف أيضاً صاحب كتاب «أحسن الوديعة في تراجم أشهر مشاهير مجتهدي الشيعة»، وصاحب كتاب «معجم رجال الفكر والأدب في النجف»، وغيرها من كتب السير والتراجم.

❊ ❊ ❊

وأما الشعراء الذين في عصره وبعد عصره، فقد وجدوا فيه المثل الأعلى، والقدوة المثلى، والإنسان الكامل، وهزت صفاته العالية خواطرهم ومشاعرهم، فتفجرت قرائحهم بغرر من الشعر الرفيع.

منها تلك الموشحة التي اشترك في نظمها جماعة من أدباء العلماء، وهم السيد عيسى الأعرجي، والسيد مصطفى الحيدري، والشيخ مهدي المراياتي، والشيخ أسد الله الخالصي، والشيخ هاشم بوستفروش، وهنأوا فيها السيد

بإحدى المناسبات السعيدة، ومنها قولهم:

وبـــبشرٍ هـــنٍّ كـهف المـلتجي حجة الإسلام أعـلى الحـجج
فـــــلذا في غـــــيره لم نـــلتج فاق من يأتي ومن قد سـلفا
وهو فيما حازه لم يسبق

عـــيلم عـــلامةَ الدهـــر غـــدا وعـــليه تـــاج مجـــد عـقدا
وإلى العـــلياء قـــد مـــدّ يـــدا عـــجز المـادح في أن يـصفا
بعض ماخُص به من خلق

فـــيه أعـيا مـادح مـاذا يـقول حيرت أوصافه العشر العقول
فـــالنبي الجـــد والأم البـــتول وكـــــتاب الله فـــيما ســـلفا
بسوى فضلكم لم ينطق

* * *

وهؤلاء الأعلام أنفسهم اشتركوا في قصيدة أخرى لتهنئة السيد بنفس المناسبة، ومنها قولهم:

هـــنٍّ فـــيه «الحـــجة المـهدي» مـــــن قـــد ســـاد فـــضلا
قـــــائم بـــــالأمر كـــم قـــد طـــــبق الآفـــــاق عـــدلا
ذاك مـــــن جـــــاز الثريـــــا فـــــسما عـــــنها محـــــلا
ذاك مـــــن فـــــيض نـــــداه مـــــاحكاه الغـــيث هـــطلا
إن يكـــــن فـــــضل وعـــلم فـــــله القـــــدْح المـــعلى
ويـــــد ســـــامت عـــــلاه إنهـــــا جـــــذاء شـــــلا

لاتـــرم مـــاعشت نـــداً له في الدهـــــر ومـــثلا
ذاك مـــــن أمست عـــليه كـــل هـــذا الخـــلق كـــلا

❊ ❊ ❊

ومدحه الشاعر المجيد الشيخ سليم العاملي بقوله:

هو «المهدي» بل هـادي البرايـا ومـــن عـن مـثله العـليا عـقيم
أقـــر بـــفضله العـــلماء طـــراً كأنْ بـــالوحي تأتـــيه العـــلوم
مـــناقبه الشريـفة ليس تحـصى وهل تحصى على العـد النـجوم؟
إذا هـــطلت أنـــامله بجـــود فأين البـحر والغـيث السـجوم؟
يـــضيق بـنعته صـدر القـضايا وطـــوع يمـــينه الزمـــن الصريم

❊ ❊ ❊

ومدحه الأديب الكبير والشاعر الفذ الحاج عبد الحسين الأزري بقوله:

لكـن أجـاب لغـوثها «مـهديها» أكـــرم بـه غـوثاً لكـل مـنادي
كهف الورى علم الهدى والملتجى مُهدي الأنـام مسـالك الإرشـاد
من شاد للشرع الشريف جوانباً بمـــــداده لافي ظـــباً وصـــعاد
عـلّل قـلوبَ المسـلمين بـذكره وأزد ـ فـديتك ـ لابـذكر سـعاد
زهرت به الدنـيا فـضَّوع طـيبها وغـــدت تـــتيه بـــقدّها المـيّاد

❊ ❊ ❊

ومدحه المرحوم العلامة الشاعر الشيخ محمد رضا أسد الله بقوله:

ذاك «مـــهديهم» سـليل المـعالي مـــن تحـــلى بـفضله كـل جـيد

عـــيلم العـلم، كـوكب الفـضل، بدرالمجد،قطب العلا، كـهف الوفـود
قارَب البـحرُ أن يحـاكـيه لكـن ذا أجـــاجٌ، وذاك عـذب الورود
مـــلجأ العـــالمين فـــيه إذا مـــا عمّهم حـادث الخـطوب السـود
ذخرته الورى لدى الخطب ركنا للـــبرايـــا وايّ ركـــن شـــديد
إن تـــراءى وقـومُه فـيه حـفّت قلت: شهب حفّت بـبدر سـعود
كـــلهم ســـيد كـــريم حـــصور فـــيه للـــناس بـــلغة المجـــهود

❊ ❊ ❊

وهنأه المرحـوم خـطيب الكـاظمية الشـيخ كـاظم آل نـوح بـإحدى المناسبات السعيدة بقصيدة قال فيها:

فيا رائـد الأحكـام ـ ويحك ـ أُمَّـه ويا طالباً نهج الهدى فهو «المـهدي»
ويا طـالب الجـدوى أنخ عـند بـابه قلوصَك لاترحل فذا مـرفد الرفـد
بباب «أبي الهادي» أنخ موئل الورى ومـلجئها بحـرالنـدى العـلم الفـرد
أبي الســـادة الغـر الذيـن تـطلعت بدور هـدىً للـناس في أفـق المجـد
إذاقستهم والناس هم سـادة الورى وكيف يقاس الحر ـ ياصاح ـ بالعبد

❊ ❊ ❊

وهنأه بعض الشعراء المعاصرين له بإحدى المناسبات بقصيدة قال فيها:

فـليهنأ «القـائم المـهدي» تهـنئة أمسى لها صفوها عَلاً على نَهَـل
إن رمت فـــائدةً فهو «المـــفيد» لها في الدين ياسعدُ أو في الحادث الجلل
قد فاق ذا علماءَ العـصر قـاطبة بـــعلمه فـــادعه عـــلامة الأول

وإن ترم وصف بعض من نداه فقد كلفت نفسك نيل الشمس أو زحل
قد حاز في مجده دون الورى شرفاً فراح يضرب فيه غاية المثل

❊ ❊ ❊

وهناه شاعر آخر معاصر له أيضا بمناسبة بهيجة قال فيها:

هنّ فيه «القائم المهدي» في هذا الزمانِ
حجة الله علينا ما تلاقى الفرقدان
عزمه في الروع أمضى من شبا العضب اليماني
لا تقسه في علاه بفلان وفلان
إن تقسه بسواه قست ناراً بدخان

❊ ❊ ❊

وهنأه شاعر آخر معاصر له بإحدى المناسبات السعيدة بقصيدة قال فيها:

أبا «حميد» هاكها تهنئة رقت لها الأسحار والأصائل
كم فيك قرّ المجد يوماً بعد ما كادت تُميد ركنه الزلازل
ما طاولتك مقلة إلا انثنت مقصرة عن مجدك الطوائل
من معشر لهم على الفضل يد ودون كل فاضل فواضل
أوائل تنميهم إلى العلى بنو نزار مضر ووائل
كم حاسد طار إلى عليائهم مخطّه للدون جدٌّ نازل
قد حاولت كفّاه نيل مجدهم شلّت يداك أيها المحاول
محافل تشهد بالفضل لهم والفضل ما تشهده المحافل

❊ ❊ ❊

تلامذته

كان ـ رحمة الله عليه ـ طيلة إقامته في الكاظمية أو النجف أو سامراء منهلاً عذباً، ومورداً سائغاً، لطلاب العلم، وعشاق المعرفة، ورواد الفضيلة، يتزاحمون على الأخذ عنه، والتلقي منه، والدراسة عليه، حتى تخرج على يده عدد كبير من الجهابذة الأعلام، كالشيخ مهدي المراياتي، والشيخ مهدي الجرموقي[1]، والشيخ عبدالحسين البغدادي، والميرزا إبراهيم السلماسي، والسيد محمد أمين الحسني، والشيخ أسد الله الخالصي، والشيخ محمد هادي القائيني، والحاج ميرزا جواد آغا التبريزي، والسيد عبد الكريم الأعرجي، والسيد عيسى الأعرجي، والسيد محمد الأعرجي، والشيخ راضي الشيخ محمد، والسيد مصطفى الحيدري ـ صاحب كتاب بشارة الإسلام ـ وولديه السيد أسد الله، والسيد أحمد، وغيرهم من العلماء الأجلاء.

واستجازه في الرواية عنه، المغفور له آية الله السيد عبد الهادي الشيرازي

١ـ نص على تلمذته على السيد ـ قدس سره ـ الحجة الثبت الشيخ محمد حرز الدين، في كتابه «معارف الرجال»، في موضعين من الجزء الثالث، عند ترجمة السيد، ص ١٤٤، وعند ترجمة الشيخ، ص ١٤٦.

ـ طاب ثراه ـ كما نص على ذلك شيخنا المحقق حرز الدين في كتابه القيم «معارف الرجال»[١] عند ترجمته لسيدنا الإمام المهدي، أعلى الله مقامه.

كما استجازه في الرواية عنه، آية الله العظمىٰ السيد المرعشي النجفي ـقدس سرهـ كما صرح بذلك «أعلىٰ الله مقامه» حين زاره وفد من الأسرة الحيدرية، لعيادته في منزله بقم المقدسة.

آثاره العلميّة

خلف سيدنا ـ طيب الله ثراه ـ رغم مشاغله الكثيرة، ومسؤولياته الضخمة، عدداً من الكتب العلمية الجليلة، في مختلف الفنون الإسلامية، نذكر منها ما يلي:

١ – كتاب الطهارة في ستة مجلدات.

٢ – كتاب الصلاة في ستة مجلدات أيضاً.

٣ – كتاب الصوم في مجلد واحد. «وهذه المجلدات كلها الآن من مخطوطات مكتبة الإمام الصادق﴿عليه السلام﴾ العامة في الكاظمية المقدسة».

٤ – تقريرات في الأصول.

٥ – كتابه في الرجال.

٦ – تعليق على «فرائد الأصول»، لأستاذه الشيخ الأنصاري

---

١ – الجزء الثالث: ص ١٤٤.

٧ – تعليق على «رسالة الاستصحاب»، لأستاذه الشيخ الأنصاري «والتعليقان موجودان في مكتبة الإمام الصادق﴿عليه السلام﴾ أيضاً».

٨ – حاشية على «القوانين المحكمة»، للمحقق القمي.

٩ – حاشية على «تبصرة المتعلمين»، للعلامة الحلي.

١٠ – حاشية على «نجاة العباد»، للشيخ محمد حسن صاحب الجواهر.

١١ – حاشية على «الوجيزة»، لأستاذه الشيخ محمد حسن آل ياسين.

١٢ – رسالة عملية باللغة العربية، مطبوعة في بغداد سنة ١٣٢٧ هـ واسمها «زاد العباد ليوم المعاد».

١٣ – رسالة عملية أخرى باللغة العربية، مطبوعة في بمبي في نفس السنة.

١٤ – رسالة عملية ثالثة باللغة الفارسية، مطبوعة، كتبها لمقلديه الإيرانيين

١٥ – كتاب في الهيئة. نص عليه صاحب «معارف الرجال»، وصاحب «أحسن الوديعة»، وغيرهما.

وأكثر هذه الكتب موجود عند ذريته وأحفاده.

صفاته ومزاياه

كان – قدس الله روحه – من الورع والتقوى، وشـدة الزهـد، ولزوم العبادة، وصدق النية، ورسوخ الإيمان، وسمو النفس، وطهارة القلب، وكرم الأخلاق، وسعة الفكر، وتوقد الذهن، وعلو الهمة، والخشونة في ذات الله، والصلابة في الحق، والعزوف عن الدنيا، بالمنزلة التي لايصل إليها إلا مـن امتحن الله قلوبهم للتقوى.

وكان طرازاً عجيباً، ومثالاً فريداً، في حياته الخـاصة والعـامة، حـتى كادت سيرته أن تشبه سيرة الأنبياء والأوصياء والصديقين، كما نقل عن كثير ممن اتصل به وسبر غوره. ولاغرابة في ذلك، فإنه – رضوان الله عليه – كان في جميع شؤونه يقتفي أثرهم، ويقتدي بهداهم.

فمن صفاته المعروفة ـ قدس سره ـ أنه إذا وردته الحـقوق الشرعـية، يقسمها على مستحقيها من الطلاب، ولا يترك له ولأولاده إلا بمـقدار مـا يعطي للآخرين، دون أي زيادة أو تمييز. ومن صفاته الكريمة ـ رحمه الله ـ أنه كان عازفاً عن لذائذ الدنيا وطيباتها، وكثيراً ماكان يأكل الأدنى من الطعام،

وإن تهيأ له الأعلى.

ومن صفاته الرفيعة ـ عطر الله ثراه ـ أنه يحدب على الصغير والكبير، ويعطف على القريب والبعيد، ويحنو على الفقراء والمساكين، ويهتم بأمور المسلمين، وينهض بأعبائهم، ويتفقد شؤونهم، ويصلح ذات بينهم، حتى صاروا يفزعون إليه في المهمات والملمات، ويلوذون به في المحن والشدائد، كما سيتضح ذلك في مواقفه الخالدة التي ستمر عليك.

ومن صفاته المثلى – طيب الله مثواه – أنه كان مؤيداً ومسدداً بالعناية الإلهية، فكثيراً ماكانت تكشف له الحقائق الغامضة، كأنما ينظر من وراء الغيب، ولاغرو فالمؤمن ينظر بنور الله. والشواهد على ذلك كثيرة في حياته الخاصة والعامة.

منها: ماتناقلته الأفواه من أن السيد ـ قدس سره ـ في إحدى السنين، وفي ليلة الشك من آخر شهر رمضان، اجتمع عنده جماعة من الناس، وشهدوا برؤية هلال شوال، فلم يحصل عند السيد وثوق واطمئنان، وطلب مزيداً من الشهود، فتكاثروا عنده حتى بلغوا الثمانين، وقد مدح بعض أهل العلم قسما منهم، ومع ذلك كله كان السيد يتريث عن إصدار حكمه الشرعي، رغم إلحاح الملحين. والحسينية الحيدرية في الكاظمية المقدسة والشوارع المحيطة بها غاصة بالجماهير المحتشدة، التي تنتظر إصدار حكمه الشريف، والسيد متوقف لم يحصل له الوثوق والاطمئنان المطلوبان. فخرج أحد الحاضرين من مجلسه الشريف في الحسينية، وهو يقول متعجباً: «كأن

السيد يريد أن تنزل عليه ملائكة من السماء يشهدون له بالهلال!» ولكن ما أقبلت الليلة الثانية، حتى انكشف السر العجيب، وظهرت الحقيقة الغامضة، وإذا بالهلال لم يشاهد فيها! أو شوهد بصعوبة بالغة!، فتعجب الناس من الأمر، وعلموا أن السيد كان محقاً في ذلك التريث والتوقف، وقالوا: كأن السيد ينظر من وراء الغيب.

ومنها: ماحصل له في أثناء جهاده المقدس - الذي سيمر عليك تفصيله-، وقد تجلت هذه الظاهرة بوضوح في تلك الأيام الرهيبة ونذكر لك الآن شاهداً واحداً على ذلك، ونترك الشواهد الأخرى إلى مكانها المناسب، في سير الحوادث والوقائع التي سنعرضها عليك وشيكاً إن شاء الله تعالى.

أما الشاهد الذي سنحدثك به الآن فهو: أن السيد في أثناء المعركة الفاصلة، جاءه أحد شيوخ القبائل، فقدم له مبلغاً خطيراً من المال، وقال له: إن هذا المال هو ثلث المرحومة والدتي، وإني أحببت أن أضعه تحت تصرفكم، لتقوموا بصرفه على الوجه الشرعي المطلوب، فأبى السيد أن يقبض من المال شيئاً قليلاً أو كثيراً، وكلّما ازداد الشيخ إلحاحاً عليه ازداد هو رفضاً وامتناعاً من قبضه. وأخيراً رجع الشيخ خائباً دون أن يحصل على مايريد، ثم ما أسرع ما انكشفت الحقيقة، وظهر للناس أن هذا المال مرسل من الإنكليز، على يد هذا الرجل، لأغراضهم السياسية. فتعجب الناس من موقف السيد وإصراره على رفض هذا المال الكثير في ذلك الوقت العسير،

وهم بأمس الحاجة إلى أمثاله، وعلموا أن السيد مؤيد بعناية ربانية خاصة، وأنه ينظر بنور الله. والشواهد على ذلك كثيرة في حياته المباركة.

وقد أشاد بهذه الصفات الغر عدد من العلماء والباحثين في كتب التراجم والسير. ومنها ماجاء في مجلة «المرشد» الغراء[1]، التي كانت تصدر برعاية حجة الإسلام السيد الشهرستاني ـ دام ظله ـ، عند ترجمة سيدنا المهدي ـ طاب ثراه ـ ومما قالت في صفته: «كان مشيّداً لأركان الدين، ومروّجاً لأحكامه، من مبدأ أمره إلى نهاية عمره، ومشغولاً بعبادة ربه، لا يلهيه عن ذلك شئ من أمور الدنيا وحطامها، وكان خشناً في ذات الله، يدعو الناس إلى الله بعلمه وتقواه، لا تأخذه في الله لومة لائم، وقد ملك قلوب الخاصة والعامة بحسن سيرته، وطيب سريرته، وكرم أخلاقه، ومحاسن خلاله، التي أعظمها خلوص النية، وعظيم التقوى. وكانت له الهمة العالية في الأمور الخيرية، وإصلاح ذات البين، وإنجاز كل عمل يتولاه، ومشروع خير يقوم به...الخ».

* * *

١-الجزء التاسع - المجلد الثاني الصادر سنة ١٣٤٦ هـ ص ٣٤٣.

نهضته الكبرى في حرب الإنكليز

في الحرب العالمية الأولى، وفي سنة ١٣٣٢ هجرية، دهمت الجيوش الإنكليزية العراق من جهة البصرة، تريد احتلال هذه البلاد الإسلامية، والسيطرة على جميع ثرواتها وخيراتها، والاستيلاء على كل شؤونها ومقدراتها، فأحس المسلمون بالخطر المحدق، وشعروا بما سيحيق بهم من الكوارث إذا تمكن العدو الكافر من السيطرة والاستيلاء، وبما سيجر ذلك عليهم من المحن والفتن، والتحلل في العقيدة، والتفسخ في الأخلاق، فاستغاثوا بالزعيم الديني الكبير، والقائد الروحي العظيم، سيدنا الإمام المهدي ـ عطر الله تربته ـ كما استغاثوا بغيره من العلماء الأعلام، وأبرقوا لهم من مختلف الأطراف يطلبون منهم أن ينهضوا بالأمر، ويعلنوا الجهاد المقدس، والنفير العام.

وهذا نص إحدى البرقيات التي أرسلها إلى الكاظمية رؤساء البصرة وزعماؤها: «ثغر البصرة، الكفار محيطون به، الجميع تحت السلاح، نخشى

على باقي بلاد الإسلام، ساعدونا بأمر العشائر بالدفاع»[١].

فاستجاب العلماء - وفي طليعتهم سيدنا المهدي ـ لهذه الاستغاثات المنبعثة من أعماق المؤمنين، وأعلنها صرخة مدوية في الآفاق: «الجهاد.. الجهاد.. النفير.. النفير..» وأصدر فتواه المباركة في وجوب الدفاع عن بلاد الإسلام، والذب عن حياض المسلمين، ومحاربة الغزاة المعتدين، وأصدر أوامره المطاعة بالاجتماع العام في الصحن الكاظمي الشريف، عدة مرات. فكان يزدحم - على رحبه- بالناس، ويرقى السيد المنبر بنفسه الشريفة، ويدعوهم إلى الجهاد، ويحثهم على الكفاح، ويحضهم على التضحية، ويحرضهم على الإقدام، ويحذرهم مغبة التخاذل والاختلاف، ويبلغهم حُكمه وفتواه، ويخبرهم أنه خارج بنفسه وأولاده وجماعة من أسرته[٢]

١- ذكرها البحاثة الجليل الشيخ محمد حسن آل ياسين، في مقال عن الكاظمية المقدسة، نشره في مجلة «الأقلام»، الجزء الثالث، السنة الأولى، الصادر سنة ١٩٦٤م. وعلق الشيخ على هذه البرقية بقوله: «وقُرئت هذه البرقية علناً، فهاج الناس وماجوا، وأغلقوا أسواقهم، وعطلوا أعمالهم، واجتمعوا في الصحن الكاظمي ينتظرون أوامر علمائهم، فأصدر العلماء أمراً بوجوب الدفاع على كل مسلم، وأبرقوا بهذا المضمون إلى العشائر المحيطة بالبصرة، ثم توالت الاجتماعات في الصحن الشريف، منذ العشرين من ذي الحجة، إلى ١٢ محرم الحرام، سنة ١٣٣٣هـ وألقيت الخطب المثيرة ورقى المنبر في بعض هذه الاجتماعات السيد مهدي آل السيد حيدر ـ وكان رحمه الله من أقطاب العلماء الثائرين في الكاظمية - فوعظ وحرّض، وأعلن خروجه بنفسه إلى ميدان الحرب».

٢- الذين خرجوا للجهاد من آل الحيدري عشرة كاملة، وهم:
١ - السيد المهدي -قائد المجاهدين وإمامهم-.
٢ - ابنه السيد أسد الله.
٣ - ابنه السيد أحمد.
٤ - ابنه السيد راضي.
٥ - ابن أخيه السيد عبد الكريم.

⇐

وأصحابه إلى ساحة الحرب وميدان القتال، فمن لحق به غنم، ومن تخلف عنه أثم: ﴿وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً﴾[١] فلبى الناس دعوته، وأطاعوا أمره. فعند ذلك أبرق إلى علماء النجف الأشرف وكربلاء وسامراء، وأخبرهم بعزمه على محاربة العدو الكافر، مهما كلف الأمر، رغم أنه قد تجاوز عمره الثمانين، ولكن الإيمان الراسخ، والعقيدة الصلبة يصنعان المعجزات، فأجابه بعضهم بأنهم لاحقون به وشيكاً، إن شاء الله تعالى.

وجاء على الأثر من علماء النجف إلى الكاظمية - قبل سفره بيوم واحد - حجج الإسلام: شيخ الشريعة الأصفهاني، والسيد مصطفى الكاشاني، والسيد علي الداماد - قدس الله ارواحهم -، وغيرهم من العلماء والمجاهدين، فأمر السيد باستقبالهم، فاستقبلوا بغاية الحفاوة والتعظيم، وجرت بينهم وبينه مفاوضات كثيرة حول الخطط والتصاميم المقررة.

«ثم تواردت على الكاظمية وفود العلماء الزاحفين نحو المعركة من النجف الأشرف وكربلاء، وكانت البلدة تستقبل كل واحد منهم بمنتهى الترحاب والتكريم، وتودعه بمثل ذلك»[٢].

أما آية الله المرحوم الميرزا محمد تقي الشيرازي، فإنه لما بلغه وهو في

⇐ ٦ - ابن أخيه السيد محسن.
٧ - ابن أخيه السيد صادق.
٨ - ابن ابن أخيه السيد عبد الأمير.
٩ - ابن عمه السيد عبد الحسين، وهو الذي استشهد في الجهاد.
١٠ - ابن عمه السيد جعفر.

١- سورة النساء: ٩٥.
٢-الشيخ محمد حسن آل ياسين في مقاله الآنف الذكر.

سامراء فتوى السيد، وعزمه على الجهاد بنفسه، أرسل معه ولده الأكبر المجاهد الشيخ محمد رضا، وأمره أن ينضوي تحت لوائه، وأبرق إلى جميع أنحاء العراق يبلغهم وجوب التضامن مع العلماء الأعلام، ولزوم الدفاع عن حرمات الإسلام.

وأما آية الله المرحوم السيد محمد كاظم اليزدي، فإنه أفتى أيضاً بوجوب الجهاد، وأرسل إلى جبهة القتال ولده الأكبر العلامة السيد محمداً.

وأما حجة الإسلام المجاهد العظيم السيد محمد سعيد الحبوبي - طاب ثراه -، وجماعة من علماء النجف الأشرف، فقد توجهوا من بلدهم المقدس إلى ساحات الشرف، وميادين الكفاح، ومعهم عدد غفير من المجاهدين الأبرار.

* * *

ولما عزم سيدنا المهدي قدس سره على المسير إلى «القرنة»، وهي القلب، أبرق الى جميع زعماء القبائل، ورؤساء العشائر، الواقعة على ضفتي نهر دجلة، يخبرهم بتوجهه إلى ساحة الحرب، وعزمه على ملاقاة العدو، بنفسه وأولاده وأقربائه، وجموع غفيرة من المجاهدين، وبلّغهم فتواه المباركة، وعرّفهم تكليفهم الشرعي، وأمرهم بالتعبئة والاستعداد، ليكونوا في صفوف المجاهدين.

وفي عصر يوم الثلاثاء، الثاني عشر من محرم الحرام سنة ١٣٣٣ هجرية، تحرك موكب البطولة والجهاد، من الكاظمية المقدسة، يتقدمه القائد البطل العظيم، سيدنا المهدي - قدس الله روحه -، ومعه الإمام المجاهد آية الله

الشيخ مهدي الخالصي، وثلة طيبة من العلماء الأبرار، وثلاثة من أشباله الكرام، وهم الحجج الأعلام السيد أسد الله، والسيد أحمد، والسيد راضي، وبعض أعلام أسرته الكريمة، كالمجاهد البطل الشهيد السيد عبد الحسين الحيدري، وجموع غفيرة من المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ووطنوا أنفسهم على مجابهة الأخطار، وخوض الغمرات، وملاقاة الأعداء، والتضحية بالنفس والنفيس، وفي طليعتهم بطل الكاظمية المجاهد الكبير الشيخ عبد الحميد الكليدار.

خرج الموكب الإسلامي العظيم تودعه القلوب، وتشيعه الكاظمية، وضواحيها بأسرها، حتى كانت جماهير المودعين تمتد على مد البصر[1]، كما نقل ذلك شاهد عيان.

وقد أمر العلماء أن يسير الناس جميعاً إلى بغداد، في ركاب السيد، وتحت لوائه، تعزيزاً لمقام القيادة الدينية، والزعامة الروحية. وكانت الهتافات الشعبية تتعالى من الجماهير المؤمنة التي احتشدت في كل مكان، لتودع القائد العظيم، فمرة تردد: «سيد مهدى ركن الدين.. نمشي للجهاد اوياه... واندوس العده بحذاه»، وأخرى تهتف: «حجة الإسلام طالع للجهاد.. محصّن بموسى بن جعفر والجواد». وهكذا كانت تعبّر هذه القلوب الطاهرة عن

١- جاء في المقال الآنف الذكر في مجلة الأقلام مانصه: «وفي يوم الثلاثاء ١٢ محرم الحرام سنة ١٣٣٣ هـ خرج السيد مهدي المذكور، قاصداً ساحة الحرب، وبصحبته الشيخ مهدي الخالصي، والشيخ عبد الحميد الكليدار، وجماعة من المجاهدين، وخرجت البلدة بأسرها لتشييع ركب الجهاد الزاحف».

شعورها الطيب، وولائها الصادق، وإيمانها العميق.

بهذا الشكل من التجلة والتكريم، وصل الموكب الكبير، إلى ساحل النهر في بغداد، حيث أعدت لهم هناك السفن والمراكب، ثم سارت بهم متجهة - باسم الله وعلى بركته- نحو «العمارة». وكان ـ رحمه الله ـ كلما يصل الموكب إحدى المدن، أو القبائل العربية التي تنزل على ضفاف النهر، يأمر بالوقوف، وينزل هو وأصحابه، ويجمع الناس، ويحثهم على الجهاد، ويأمرهم بالنفير العام. وكان خطيبهم في هذه المواقف ولده الحجة الكبرى السيد أحمد. وهكذا كانت سيرته وطريقته في رحلته هذه، حتى وصلوا العمارة. وهناك أمر بالاجتماع العام في مسجدها الجامع الكبير، وألقيت الخطب الحماسية من قبل بعض المجاهدين. ثم قام السيد بنفسه القدسية، ورقى المنبر الشريف، وحث الناس على الجهاد، وحرضهم على التضحية والثبات، وأمرهم برص الصفوف، وتوحيد الجهود، أمام العدو المتربص، ورغّبهم في الشهادة والسعادة، وحذرهم مغبة الفرقة والتخاذل، وشوّقهم إلى ثواب الله ورضاه، فضج الناس بالبكاء، واستجابوا للنداء، والتحق به خلق كثير.

❊ ❊ ❊

ثم سار السيد مع جموع المجاهدين إلى منطقة «العزير»، واجتمع هناك بالقائد العسكري «جاويد باشا»، وتفاوض معه حول القضايا الهامة التي تتعلق بخطط الحرب، وشؤون القتال.

وكانت الحرب في ذلك الوقت قائمة في «القرنة»، وهي القلب، فقصد

نهضته الكبرى في حرب الإنكليز ٤٩

السيد بمن معه ساحة الحرب، وفي أثناء الطريق، صادف انـدحار الجـيش العثماني، وانسحابه من منطقة القتال، ورجـوع بـعض القـبائل التي كـانت تحارب معه، وسقوط القرنة بيد العدو. فاشار بعضهم على السيد بالرجوع إلى العمارة، لأنها مركز القوة، وموطن العشائر، فوافق على ذلك وعـاد إلى العمارة، فلما وصل إليها بلغه أن القائد العسكـري يـريد إخـلاء العـمارة، والانسحاب منها أيضاً، فأبى السيد ذلك، وأصر على البقاء، وقال كـلمته الخالدة، التي تعبر عن الشجاعة الخارقة، والبطولة النادرة، والعزم القـوي، والإيمان الراسخ: «أما أنا فلا أتحرك من هذا المكان، وأحاربهم هنا حتى أقتل أو أنتصر»، فلما بلغت هذه الكلمة مسامع القائد، بـعثت فـيه روح القـوة والعزم، وألهبت فيه النخوة والحماس، وعدل عن رأيه في الانسحاب، وصمم على الثبات مهما كلف الأمر.

❊ ❊ ❊

وبقي سيدنا المهدي – قدس الله روحه – في العمارة، يكاتب القـبائل، ويحرض العشائر، ويجند الكـتائب، ويـبعث الرسـل والدعـاة، إلى سـائر الأطراف، يأمرون الناس بالخروج، ويحضونهم على النفير. فكـان النـاس يفدون على العمارة زرافات ووحداناً، ملبين نداء الواجب، وعازمين على لقاء العدو، ثم يتوجهون إلى الميدان.

وبعد أن أعد العدة، وهيأ الجو، أبرق إلى العلماء الأعلام: شيخ الشريعة والكاشاني والداماد وغيرهم – وكانوا حتى هذا الوقت مقيمين في الكاظمية

–، وطلب منهم التوجه إلى العمارة مع أصحابهم المجاهدين، كما أبرق إلى أهالي بغداد وعلمائها – الذين قد تأخروا عنه بسبب أنشغالهم بفيضان دجلة، وانكسار بعض سدودها–، يحثهم على التوجه إلى سوح الشرف والجهاد.

وبعد اثني عشر يوماً من قدومه العمارة، ورد العلماء ومن معهم إليها، فأمر السيد باستقبالهم وتعظيمهم وتكريمهم، فكان كما أراد –رضوان الله عليه –.

وفي تلك الفترة عُزل القائد الأول «جاويد باشا»، وعُين مكانه القائد «سليمان عسكري بك»، فلما وصل إلى العمارة، جاء لزيارة السيد والعلماء، ثم توجه إلى مقر القيادة، ليواصل الحرب الدفاعية ضد الإنكليز الغزاة.

* * *

ولما تكاملت جموع المجاهدين في العمارة، وعُبّئت القبائل تعبئة كاملة، تحرك السيد – مرة ثانية – إلى ساحة الحرب – وكانت قريبة من القرنة – قبل بقية العلماء، ونزل في مقر القيادة العسكرية. وبعد نزول السيد جاء القائد نفسه لزيارته والسلام عليه، ثم عرض عليه أنه يريد أن يقدّم للمجاهدين مايحتاجون إليه من المؤن والأموال، فرفض السيد ذلك رفضاً باتاً، وقال: «إننا مستغنون عن مساعدتكم، ولو تمكنا نحن على مدكم بالمال والطعام لفعلنا». فشكر القائد له هذا الشمم العلوي، والإباء الهاشمي، ثم استأذنه، وقبّل يديه، وخرج.

ولما استقر بالسيد المقام، ومهّد المكان، وهيأ الأمور، وعبّأ الصفوف، أبرق إلى العلماء العظام الذين تركهم في العمارة، وطلب منهم اللحوق به في المقر الذي هو فيه، وبيّن لهم أن الجو ملائم، والمكان أمين. فلما بلغهم ذلك عزموا على الرحيل، وكتبوا إلى السيد بعزمهم هذا، فطلب من القائد أن يهيئ لهم باخرة تقلّهم، فهيأ لهم ذلك، وركبوا فيها، حتى نزلوا بالقرب من مقر السيد.

ولم تزل جموع المجاهدين، وكتائب القبائل، تتوارد وتتوافد على ذلك المكان، وتنزل على حافتي النهر، حتى ملؤوا من الأرض ما يقارب الفرسخ والنصف لكثرتهم.

* * *

وقد توزع المجاهدون بقيادة العلماء الأعلام، على الجبهات المتعددة:

أما القلب وهو «القرنة» فقد رابط فيه سيدنا المجاهد الأعظم، الإمام المهدي الكبير، ومعه أولاده الأعلام: السيد أسد الله، والسيد أحمد، والسيد راضي، وبعض ذوي قرباه، كالعلامة السيد عبد الكريم، والبطل الشهيد السيد عبد الحسين، وحجج الإسلام: شيخ الشريعة الأصفهاني، والسيد مصطفى الكاشاني، والسيد علي الداماد، والسيد عبد الرزاق الحلو[1]، وغيرهم، ومعهم جموع غفيرة من المجاهدين والقبائل المرابطة، وقد قدّر البعض عددهم بأربعين ألفاً.

وقد كان لسيدنا آية الله الحيدري، ولشيخنا الإمام شيخ الشريعة الأصفهاني، والعلماء المرابطين معهما من البطولات الخالدة، والتضحيات

١-كان المرحوم السيد عبد الرزاق الحلو في نفس المنطقة، ولكنه في الجانب الآخر من النهر.

الفذة، والمواقف العظيمة، ما سجلها لهم التاريخ بأحرف من نور.

وأما الجناح الأيمن وهو «الشعيبة» فقد رابط فيه حجج الإسلام: السيد محمد سعيد الحبوبي، والشيخ باقر حيدر، والسيد محسن الحكيم - أدام الله ظله على رؤوس المسلمين، وحفظ بوجوده، بيضة الدين - وغيرهم، ومعهم خلق كثير من المجاهدين والقبائل المقاتلة.

وقد كان لسيدنا المجاهد الخالد الذكر الحجة الحبوبي، الأثر الأكبر في إثارة النجف الأشرف، وتهيئة الجماهير، وتعبئة الصفوف، وجمع الكلمة، وحشد القوى، وهو الذي جاهد في جبهته جهاد الأبطال، حتى لقي ربه، فوفّاه أجره.

وأما الجناح الأيسر، وهو «الحويزة»، فقد رابط فيه الحجج الأعلام الشيخ مهدي الخالصي، ومعه ولده الكبير الشيخ محمد، والشيخ جعفر الشيخ راضي، والسيد محمد نجل آية الله العظمىٰ الإمام اليزدي، والسيد عيسى كمال الدين الحلي، وغيرهم، ومعهم عدد غفير من المجاهدين والعشائر الثائرة.

وقد كان لشيخنا المجاهد العظيم الإمام الخالصي، وشيخنا المجاهد الكبير الشيخ جعفر، وسيدنا المجاهد البطل السيد اليزدي، والمرابطين معهم، من المواقف الصلبة، والجهود الجبارة، والتضحيات الخالدة، ما تذكر لهم بالشكر والتقدير على مدى الأجيال[١].

❊ ❊ ❊

١- صرح بمضمون هذا التوزيع على الجبهات الثلاث كثير ممن تطرق لذكر الجهاد، أو ترجم لهؤلاء المجاهدين، كالحجة - الشيخ محمد حرز الدين - في كتابه «معارف الرجال»، والحجة السيد محسن الأمين في كتابه «أعيان الشيعة»، والمحقق الشيخ محمد علي اليعقوبي في تعليقه على ديوان الشيخ أبي المحاسن الكربلائي، وغيرهم من المؤلفين والمؤرخين.

وكان القتال بين المعسكرين في منطقة القرنة يقع على بعد مسافة من مقر العلماء، فإذا سمع المجاهدون دوي المدافع، وأزيز الرصاص، سارعوا إلى نجدة الجيش وإسناده، وربما وصلوا بعد فوات الأوان.

فرأى سيدنا المهدي العظيم ان بقاء المجاهدين في هذا المكان مخالف للمصلحة الإسلامية العليا، ولم يكن له من النفع والجدوى كما لو تقدموا إلى الميدان، فعزم -رضوان الله عليه - أن يتقدم بنفسه وأصحابه إلى ساحة الحرب، ليكون أبلغ في نصرة الجيش الإسلامي، وتعزيز مركزه، وتدعيم قواه. فحضر عنده تلك الليلة وجوه العلماء، وأقطاب المجاهدين، وزعماء القبائل، وألحوا على السيد بالعدول عن رأيه، ورجحوا له البقاء في مكانه، باعتباره القائد الروحي العام، الذي يجب أن يبتعد عن الميدان، ليشرف على التعبئة والتهيئة والتنظيم، ولكن سيدنا المهدي أصر على رأيه، وقال لهم: «إن هذه الجموع الغفيرة إنما جاءت للحرب والدفاع، ولا تتقدم بنفسها إلى القتال مالم نتقدم بأنفسنا أمامهم، ونكون معهم في السراء والضراء».

فلما رأى إصرار البعض عليه بعدم التقدم حسم الأمر باستخارة الله سبحانه وتعالى، فإنها القول الفصل في مثل هذه المواقف الحرجة، فخرجت هذه الآية الكريمة: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ﴾[1] فكبّر الناس فرحاً وتعجباً، واعتبروا هذه الاستخارة كأنها الوحي المنزل، أو كأنها الأمر الصريح، عندئذ سلّم الجميع لرأيه، وقرروا

١- سورة العنكبوت:٦.

الزحف معه إلى الميدان.

وفي الصباح ركب هو وأصحابه السفينة الكبيرة المعدة لهم، وسارت معه بعض القبائل العربية، كربيعة وبني لام بسفنهم، وتخلفت عنه بعض القبائل الأخرى ريثما تتهيأ للسفر، وتتعبأ للحرب، ثم تلتحق به في اليوم الثاني.

ولما أدرك المجاهدين الليل، أمر السيد ربان السفينة بأن يرسو على الساحل، وأمر أصحابه بالنزول، وكانت تلك الأرض تسمى «حريبة»، وهي من الأراضي الوعرة، فنزلوا فيها، وضربوا خيامهم على حافة النهر من جانب القرنة، وباتوا تلك الليلة وهم لا يعلمون موقعهم من الجيش العثماني، هل إنهم متأخرون عنه، أم متقدمون عليه، وأما قبيلتا «ربيعة وبني لام» فإنهم قد حطّوا رحالهم قبل أرض «حريبة»، حيث أدركهم الليل هناك.

ولما أسفر الصبح صلى السيد بأصحابه صلاة الفجر، ثم خرج ولداه الكريمان السيد أسد الله، والسيد أحمد، ليستكشفا حقيقة المكان. فبينما هما كذلك إذ لاحت لهما طلائع العدو، وظهرت لهما بواخره النهرية، ومدافعه، ومعداته الحربية، وقد بدأ – بقوة هائلة –،بهجوم عنيف مفاجىء على المعسكر الإسلامي، في ذلك الصباح الباكر، بشكل رهيب لا قِبل للجيش العثماني بصده أو ردّه، لأنهم أقل عدة من العدو، فلم يكن عندهم من المدافع سوى ثمانية، اثنان منها ضخمان كانا في الجانب الذي حط فيه السيد وأصحابه، وستة في الجانب الآخر من النهر الذي يرابط فيه الجيش.

وأما بقية القبائل والمجاهدين الذين قد تأخروا عن اللحوق بالسيد

وأصحابه فإنهم لما علموا بهجوم العدو، نشروا أعلامهم، وانتشروا في البيداء وتأهبوا للّحوق بالركب المتقدم، فحالت قذائف العدو بينهم وبين الوصول إلى إخوانهم المتقدمين. ولكنهم كانوا كالسد المنيع، والجُنة الواقية لهم.

ثم اشتبك الجيشان، وتلاقى الجمعان، واحتدم القتال في ذلك اليوم، من قبل طلوع الشمس إلى مابعد زوالها. وقد رست بواخر العدو بإزاء سدكان قد صنعه القائد السابق «جاويد باشا»، وقطع به نهر دجلة.

وكانت خيام السيد وأصحابه، متقدمة على الجيش العثماني بنصف فرسخ، بحيث كانت قريبة من العدو، وبمرأى منه ومشهد، فوجه إليها مدافعه، وجعلها هدفاً لقنابله وقذائفه، فعرض بعض أصحابه عليه ـ رحمه الله ـ أن يأذن بتقويض الخيام، لأنها صارت غرضاً للرمي، فلم يأذن لهم بذلك، وقال:« إن معنويات الجيش كله ستنكسر إذا قوضتم خيامنا، وربما ظنوا بأننا قد انسحبنا عن مراكزنا، فتضعف عزيمتهم، وتنهار قوتهم، بل يجب أن تبقى هذه الخيام قوة للجيش، وراية للإسلام، وهيبة للمسلمين، ورهبة للكافرين».

ثم قام – رضوان الله عليه – بنفسه الشريفة، كأنه الليث الهصور، وهو شيخ كبير قد تجاوز عمره الثمانين، وتقلد سيفه، وحمل قرآنه، وندب أصحابه، وحثهم على الثبات، وحرضهم على القتال، وأمرهم بالصمود، ودعا لهم بالنصر على الأعداء وقال لهم: «لاتخافوا ولاتحزنوا فالله معكم، وهو ينصركم على القوم الكافرين، فذودوا عن حرمات الدين، وذبوا عن

مقدسات الإسلام، فإني أرجو أن تكون هذه القذائف والنيران التي يوجهها العدو إليكم برداً وسلاماً عليكم إن شاء الله». فكان الأمر كما بشر به ـرحمه‌اللهـ،وصمد ـأعلى الله مقامه ـكالطود الأشم، وصار يشجع الرجال، ويثبّت الأقدام من جهة، ويصلي لله، ويتضرع إليه، ويطلب منه العون والنصر من جهة أخرى. ونهض أولاد السيد الثلاثة كأنهم الأسود الضواري، والبطل الشهيد السيد عبد الحسين الحيدري، ومعهم رجل الكاظمية الفذ وبطلها الكبير الشيخ عبد الحميد الكليدار - الذي كان ملازماً للسيد في جميع مواقفه، ولا يكاد يفارقه في سائر شؤونه، والذي أظهر من البطولة والرجولة والثبات ماكان موضع التقدير والإعجاب - فندبوا المجاهدين للقتال، وحرضوهم على النزال، وتقدموا بهم إلى نهر كان يشبه الأخاديد العسكرية، ليكون لهم جنة عن قذائف العدو. فلم تمض على القتال إلا ساعات، حتى اندحر الكافرون اندحاراً فظيعاً، بعد أن تكبدوا خسائر جسيمة في الأرواح والسلاح والمعدات، وتحطمت لهم باخرة حربية، وقيل غرق لهم مركب آخر، وقتل من جنودهم ماينا‌هز الألف أوالألفين، على اختلاف الروايتين، وجرح منهم أكثر من ذلك. وأما من قتل من جيش المسلمين فلم يتجاوز عددهم الأربعة عشر قتيلاً، وأما الجرحى فلم يبلغوا الخمسين!!.

والعجيب في هذه المعركة أن الله سبحانه سلّم السيد وأصحابه جميعاً، فلم يقتل منهم رجل واحد، ولم يجرح منهم رجل واحد، ولم يخرق لهم خباء

واحد، رغم أنهم في قلب المعركة، وفي وسط الميدان! نعم، أصابت إحدى قذائف العدو سفينتهم التي تحمل امتعتهم وأسلحتهم فثقبتها، ودخل الماء اليها وأطفأ النار التي شبت فيها من تلك القذيفة، وسلمت ومافيها من الحرق والغرق!!.

وعدّ الناس هذا الانتصار كرامة عظيمة للسيد العظيم، واعتبروا ذلك من بركات وجوده وصموده في قلب المعركة، وبفضل حكمته العالية، وتدبيره السديد، ودعائه الصادق، وبطولته النادرة، وثباته العجيب، وانكشف للناس سر استخارته الصائبة، وظهر لهم أنه مؤيد ومسدد بعناية إلهية خاصة.

وكان بعض العسكريين يقولون بعد هذه المعركة: «إنا لما اشتد الضغط علينا من العدو هممنا بالانسحاب، ولكنا كنا كلما ننظر إلى خيام السيد قائمة بمكانها تقوى عزيمتنا، ويشتد بأسنا، ونستحي من الانسحاب، ونقول في أنفسنا: كيف ينسحب الجيش، والسيد وأصحابه المجاهدون في الميدان؟!».

وتعرف هذه الواقعة بواقعة يوم الأربعاء، لأنها صادفت يوم الأربعاء، ٥ ربيع الأول سنة ١٣٣٣هـ وتعرف أيضاً بمحاربة الروطة، لأنها كانت قريبة من نهر هناك يسمى «نهر الروطة»[1].

١- قد أشار إلى هذا الانتصار العظيم في هذه الواقعة الرهيبة كثير من المؤرخين والباحثين، ومنهم الدكتور عبد الله فياض في كتابه «الثورة العراقية الكبرى» ص ١١٢ حيث قال: «وقد نجح المجاهدون الذين كان يقودهم - يعني آية الله العظمى السيد مهدي الحيدري - في دحر الجيش البريطاني، في معركة نهر الروطة، في ٥ ربيع الأول سنة ١٣٣٣ هـ».

ولما ذاع نبأ هذه الواقعة الكبرى بين صفوف المجاهدين، في المناطق المتأخرة عن منطقة القتال، عمّهم الخوف والقلق على السيد القائد العظيم، وظنوا أنه قد استشهد في المعركة، وبلغ ذلك النبأ الخاطىء إيران والعراق، فضج الناس حزناً على الإمام الأكبر، والبطل الثائر، حتى إن بعض المدن الإيرانية أقامت له مجالس الفاتحة، ومحافل التأبين. ثم تبين لهم جميعاً سلامة السيد ونجاته، فشكروا الله سبحانه على ذلك، وعمهم الفرح والابتهاج.

أما العلماء الذين رابطوا في المقر الأول، ولم يتقدموا مع السيد إلى الميدان، بسبب اشتداد المعركة، فقد كتبوا إليه بعد انتهاء الواقعة، وفرار العدو:

«إننا لم نزل في قلق وتشويش عليكم، فلم يهدأ لنا بال، ولم يقرّ لنا قرار، وإننا منذ أن شبت نار الحرب بينكم وبين عدوكم مشغولون بالدعاء والبكاء والتضرع إلى الله تعالى، أن يكتب لكم النصر والسلامة. والآن نرجو ونأمل من سماحتكم الرجوع إلينا، لكي تطمئن نفوسنا بلقياكم، وتقر عيوننا برؤياكم».

فكتب السيد إليهم: «إنا تقدمنا إلى هذه الأرض في وقت لم تكن آمنة ولا مطمئنة، والآن قد اندحر العدو وتقهقر، فنرجو منكم الالتحاق بنا، ونضرع إلى الله تعالى أن يكتب لنا النصر، ويوفقنا للتقدم إلى الأمام».

وقد أصيب في هذه الواقعة قائد الجيش العثماني «سليمان عسكري بك»، وحمل إلى بغداد للمعالجة. وبينما هو راقد في المستشفى، إذ دخل عليه أحد الزعماء الروحانيين – من موظفي الدولة – عائداً له، فلما وقع نظر القائد

عليه، قال له وهو يهز يديه مستنكراً من قعوده عن الجهاد: «أنت‌ها هنا ترفل بالراحة والطمأنينة والنعيم، مع أنك تتقاضى راتباً ضخماً من الدولة طيلة عمرك، وإن الإمام السيد مهدي السيد حيدر يحارب بنفسه الإنكليز – على شيخوخته وعظمته – وهو الآن في الصفوف الأولى، مع أنه لم يقبل من أموال الدولة قليلاً ولا كثيراً طيلة عمره».

❊ ❊ ❊

ثم بقي السيد وباقي العلماء وجموع المجاهدين والقبائل، مرابطين في تلك الجبهات، بعد اندحار الإنكليز، صامدين في مراكزهم الحربية، مدة أشهر، وكان الإنكليز في هذه المدة يعدّون العدة للهجوم ثانياً على تلك المراكز في جميع الجبهات، بقوة هائلة لاقبل لهم بها.

فركز هجومه أولاً على الجناح الأيمن في الشعيبة، فقاتل المسلمون قتال الأبطال، ولكن العدو كان أكثر عدة وعدداً، فكان من قضاء الله وقدره، أن ينسحب الجيش الإسلامي بعد معركة حامية، دامت ثلاثة أيام.

ولما رأى القائد العام «سليمان بك» ذلك الانكسار، بعد ماكان يأمل فتح البصرة، انتحر في الحال، وعيّن مكانه «نور الدين بك».

ثم وجه العدو قوته الكبيرة إلى الجناح الأيسر في الحويزة، فقاتل المسلمون أيضاً قتالاً شديداً، وأبلوا بلاءً حسناً، ثم انسحبوا إلى قريب العمارة، بعد معركة ضارية دامت عدة أيام. ففتّ ذلك في عضد المسلمين، وانهارت معنويات الجيش.

ولما فرغ العدو من الجناحين جمع جيوشه ورصّ صفوفه، وعبأ قواه البرية والبحرية، وتوجه بكل عدده، وكامل عدته إلى القلب، حيث يرابط القائد الروحي العظيم سيدنا الإمام المهدي، وجماعة من العلماء الأعلام، وجموع من المجاهدين الكرام، ومعهم القوات العسكرية العثمانية، وهاجمهم على حين غرة، بقوته الهائلة، فتزلزلت جيوش المسلمين عن مراكزها بعد قتال عنيف أبلى فيه المجاهدون أحسن البلاء، ولاقوا في سبيل ذلك أشد العناء، حتى سقطت جميع نقاط الجيش بيد العدو، ولم تبق إلا نقطة واحدة تسمى «عرار»، ثم سقطت هذه أيضاً بعد مقاومة شديدة. فاتصل السيد والعلماء بقائد الجبهة «عبد الحليم بك» ليفاوضوه حول الأمر، ويطلبوا منه الصبر والثبات، ويشيروا عليه بوقوف الجند والمجاهدين صفا واحدا، لعل الله يثبت أقدامهم، وينصرهم على القوم الكافرين. ولكنهم علموا أن الأمر قد أنتهى، وأن الأوامر قد صدرت منه إلى الجيش بالانسحاب، تنفيذاً للقرار الذي أصدره القائد العام «نور الدين بك»، الذي عين لمركز القيادة العامة، خلفاً للقائد المنتحر «سليمان عسكري بك». فأسف السيد والعلماء غاية الأسف، وتألموا غاية التألم، وأشاروا على قائد الجبهة – وكان متهماً بالضعف والخيانة وسوء التدبير – بأن يجعل الانسحاب في أول الليل، ليستتروا عن العدو، وأن يحفر الأكنة والخنادق في الأرض ليلاً، ويتأهب للقتال إذا أسفر وجه الصباح من اليوم القابل، وأن يجعل بعض القوة في النهر، وبعضها الآخر على الأرض، ليسند بعضها بعضاً. فاستصوب القائد رأيهم، ووعدهم بتنفيذ

الخطة، ولكنه لم يف بالوعد، ونكل عن التنفيذ، وعـرّض جـيشه وجمـيع المجاهدين للكوارث والأخطار، حيث أمر بوضع جميع العتاد والأثـقال في البواخر، وأمر بالانسحاب في وضح النهار، خلافاً لما أشاروا عليه، وكـان النهر في غاية الفيضان والطغيان، وكانت المراكب تمخر عباب الماء بمشـقة بالغة، لأن اتجاهها معاكس لاتجاه الماء، ممّا جعلها عرضة لهجمات العـدو، وغرضاً لقذائفه المتوالية، حتى أحرق بعضاً منها، وأغرق بعضاً آخر.

أما السيد والعلماء الذين معه فقد عَيّن لهم ولأصحابهم باخرة خاصة من بواخره، وقد ضم إليها مركبين، أحدهما في اليمين، والآخر في اليسار، ولم يكن فيها من الوقود مايكفي لمثل هذه الرحلة الشاقة، وما يوصلهم إلى مأمنهم، لذلك كانت تقف كثيراً، وتسير قليلاً. وربانها مسيحي خائن لايهمه أمـر العلماء والمجاهدين. فكان ذلك كله سبباً في إدراك العدو لهم وهم في النهـر، وقد صوّب نحوهم قذائفه المدمرة، وحلّقت فوقهم طائراته المسلّحة، فرأوا أن يتفرقوا في الباخرة والمركبين، ولا يجتمعوا في مكان واحد، لئلا يـرموا رمية واحدة، فيستشهدوا جميعاً في وقت واحد. فنزل السيد وأنجاله الثلاثة، وابن أخيه السيد عبد الكريم، وابن عمه السيد عبد الحسين في مركب اليمين، ونزل السيد مصطفى الكاشاني ومن معه في مـركب اليسـار، وبـقي شـيخ الشريعة ومن معه في الباخرة نفسها.

ولما علم زعماء القبائل الواقعة على ضـفاف النهـر بـوجود السـيد في المركب، ورأوا العدو قد قارب منه، أرسلوا زورقاً صغيراً ليقله إلى الساحل،

فاستخار الله سبحانه على النزول فيه فلم توافق الاستخارة.

وبعد قليل من الوقت، أرسل له زورق آخر من قبل آخرين، فاستخار الله على ركوبه فلم توافق ايضاً. وبعد برهة من الزمن جاء زورق ثالث، قد ارسله بعض زعماء القبائل، وكان قد اشتد الحال، وعسر الأمر، وعظم الخطب، فلما أراد الاستخارة أيضاً، منعه المرحوم السيد عبد الحسين الحيدري من ذلك، وقال: إني لا أرى الآن محلاً للاستخارة بعد أن بلغ السيل الزبى، ووصل الأمر إلى هذا الحال، وجذب السيد ليساعده على النهوض والركوب، ووافقه أولاد السيد أيضاً، بعدما شاهدوا هول المقام، وحراجة الموقف. فالتجأ السيد إلى الموافقه والتسليم، دون رغبة نفسية تامة، ونزل في الزورق مع أولاده وابن عمه المذكور. وقد طرحوا في المركب جلّ أسلحتهم إلاّ السيد عبد الحسين، فبقي على أهبته واستعداده، وقد لبس لامة حرب كاملة، فلما استقر بهم الزورق، وهمّ بالسير، رمى اثنان من الجنود، وواحد من المجاهدين بأنفسهم إلى ذلك الزورق من شدة خوفهم وفزعهم، لينجوا من الموت، فانقلب الزورق بمن فيه، وغاص الجميع في الماء، حتى السيد نفسه وهو بتلك الحالة من الضعف والشيخوخة، ولكن الله سبحانه أراد أن يحفظ تلك النفس القدسية، وتلك الذات الروحانية، فأخرجه من جوف الماء بين أنجاله الثلاثة، وكانوا ماهرين في السباحة، فقبض نجله السيد أسد الله على يده اليمنى، ونجله السيد راضي على يده اليسرى، ونجله السيد أحمد يحافظ عليه من خلفه، وكلّ همّهم أن يوصلوا أباهم العظيم إلى الساحل،

وأمواج الماء تتقاذف بهم ذات اليمين وذات الشمال، والماء ينحدر بهم إلى جهة العدو، وكانوا تارة يرسبون في الماء، وتارة يعومون على وجهه، حتى كاد التعب والنصب أن ينهكهم ويهدّ قواهم. فبينما هم على هذه الحالة إذ أرسل الله لهم خشبة عائمة على سطح الماء، فقبض السيد على وسطها، وأمسك السيد أسد الله والسيد راضي طرفيها، والسيد أحمد من خلفه يدفع ويحافظ، حتى اشتد التعب بالسيد أسد الله والسيد أحمد، لمرض كان قد ألم بهما، وأشرفا على الموت، وأيسا من الحياة، فتركا أباهما لئلا يغرقا أمامه، ولكن العناية الإلهية تولتهما في تلك اللحظة الرهيبة، وأنجتهما من الغرق، ووصلا إلى الساحل بسلام.

وأما السيد راضي فإنه لما رأى أخويه وعضديه بتلك الحالة، اشتد عزمه في مراقبة والده والمحافظة عليه، وصار يجدّ في السباحة، حتى أوصله إلى قرب الساحل. وكان ثمة بعض الأعراب، فلما رأوا زعيم المجاهدين بهذه الحالة ألقوا بأنفسهم عليه، واستنقذوه إلى الأرض، وكان خروجهم من الماء قبيل المغرب بقليل.

وأما السيد عبدالحسين، فهو وإن كان من الأبطال الأشداء، ومن المعروفين بالقوة والبأس، ومن الماهرين بالسباحة، ولكنه كان مدججاً بالسلاح، وكان قد دنا أجله المحتوم، وأراد الله له الشهادة والسعادة، فإنه لما انقلب الزورق بمن فيه لم يجدوا له أثراً، رغم جميع المحاولات التي بذلها السادة الأعلام في البحث عنه والعثور عليه، فرضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة

منزله ومأواه، وحشره مع النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

وأما السيد وأنجاله، فإنهم بعد أن استراحوا قليلاً من عناء هذه المشقات والأهوال، دخلوا في قلعة هناك، وأقاموا فيها صلاة المغرب والعشاء، ثم رأوا أن المصلحة في مواصلة السير، لأن العدو يجدّ السُرى في طلبهم، ويأسر كل من يصادفه منهم، ويأخذ كل سفينة غصباً.

عزم أنجال السيد على المسير، ولكن كيف يتسنى لهم ذلك؟ والطريق وعروموحل، وكله مياه وجداول، وأبوهم شيخ كبير، وقد هدت الحرب قواه، وأنهكت الأحداث جسمه، ولكنهم أوكلوا الأمر إلى الله سبحانه، وقالوا: إن الذي انجاه من الغرق، وأنقذه من الهلكة، لابد أن يهيئ له وسائل السير، ويمده بالعناية واللطف.

وكان معهم في ساحة الحرب رجل من الصلحاء الأبرار، اسمه «السيد هاشم الشوشتري النجفي»، وعنده زورق جاء به مع أصحابه حين الانسحاب، فمرّ زورقه بتلك القلعة في ذلك الوقت، فأخبره رجل من الأعراب بما جرى على السيد ومن معه في النهر، ونزوله في هذا الساحل، ودخوله في القلعة، وأنه الآن فيها مع أنجاله يريدون السير، ويمنعهم من ذلك شدة الوحل وكثرة المياه، فما صدّق بكلامه، وظن أنه يريد تسليبه، وسار في طريقه، فلقيه أعرابي آخر، فأخبره بنفس الخبر، فارتاب منه أيضاً، وظن به سوءاً، وواصل السير، إلاّ أنه صادف رجلاً ثالثاً وأخبره بما أخبره به

الأولان، ثم تواترت الأنباء، فأيقن بصحة الخبر، فقال لأصحابه: امكثوا هاهنا ريثما أرجع إلى السيد وآتي به الآن، فرجع ومعه رجلان من أصحابه، ووصل إلى السيد، وأركبه وأنجاله في زورقه. ثم أخبرهم بأن السيد مصطفى الكاشاني قد انفصل مركبه من الباخرة، وانحدر به مع الماء إلى جهة العدو، والتقى زورقي به عن طريق المصادفة، فنقلته إلى إحدى السفن التي تقل عدداً كبيراً من المجاهدين. فقال له السيد راضي «إن هذه البواخر معرضة للأسر، لأنها بطيئة السير، والعدو جاد في طلبها، ولكن الرأي أن نأتي به معنا في هذا الزورق، فإنه أقرب إلى النجاة لخفته وسرعته» فاستصوبوا هذا الرأي، وذهبوا إلى السفينة، ونقلوا السيد الكاشاني رحمه الله معهم، وجدّوا في السير حتى وصلوا إلى منطقة اسمها «ابو روبة» قبيل الفجر، وهي تبعد عن «قلعة صالح» بثلاثة فراسخ.

* * *

أما آية الله شيخ الشريعة الأصفهاني -أعلى الله مقامه - فإنه بقي في الباخرة مع أصحابه إلى الساعة الرابعة - غروبية - من الليل، وهي بطيئة السير، كثيرة الوقوف، فخافوا أن يدركهم العدو، فانتقلوا منها إلى الساحل، وساروا على حافة النهر إلى قريب الفجر، فمروا بأحد الأهوار، فأرادوا عبور النهر إلى الجانب الآخر، حيث يوجد السيد وأصحابه، فصادفوا زورقاً صغيراً لا يسعهم مرة واحدة، فقرروا التناوب في العبور، فأركبوا - في النوبة الأولى - شيخ الشريعة، والميرزا محمد رضا، نجل آية الله الشيرازي،

ورجلين آخرين من أهل العلم. وبينما يسير بهم - وقد قاربوا الجانب الآخر-، إذ نفذ فيه الماء وغرق، وغاص من فيه في الماء. ومن المصادفات العجيبة أن يكون السيد راضي، نجل سيدنا الإمام المهدي، واقفاً هناك في تلك اللحظة، وقد سبق أصحابه إلى هذا المكان، ليستريح فيه هنيهة، بعد أن أعياه التعب والنصب، فلما رأى الحادث بعينه، وعلم أن فيه شيخ الشريعة، ألقى بنفسه في الماء، واستنقذ الشيخ وأصحابه، وجاء بهم إلى الساحل، فشكروا الله تعالى على نعمته، وشكروا السيد على همته، وكان الشيخ يلقبه بعد هذه الحادثة بمحيي الشريعة. وبينما هو كذلك إذ وصل اليه والده المجاهد الأعظم وإخوته الأبطال، فلما رأوه بهذا الحال تعجبوا منه، وظنوا أنه سقط في الماء مرة ثانية، فأخبرهم بالخبر، فزاد تعجبهم، وشكروا الله على السلامة.

وهناك اجتمع الأقطاب الثلاثة: «السيد المهدي، وشيخ الشريعة، والسيد الكاشاني» وجلسوا جميعاً للاستراحة برهة من الزمن، ثم ركبوا زورقهم، وساروا حتى طلعت الشمس، وأسفر الصباح، فرأوا العدو قريباً منهم، وأنه سيدخل «قلعة صالح» وشيكاً، فعدلوا عن مواصلة السير إلى القلعة - وكانوا على مقربة منها - وجعلوا سيرهم على منازل القبائل في الاهوار، يتنقلون بين شيوخها ورؤسائها، من «خريبط بن فالح الصيهود» إلى «عبد الكريم بن صيهود»، ومنه إلى «مطلق الخليفة»، ثم إلى «مجيد الخليفة» ثم إلى أخيه «حمود الخليفة»، ومنه إلى «محمد وشواي»، وهما من شيوخ «آل إزيرج». ومازالوا يتنقلون بين تلك المنازل والقبائل حتى وصلوا إلى«آل

دراج»، ثم دخلوا في «الجزيرة» التي تفصل بينهم وبين «مياح»، وهي قبيلة «محمد الياسين»، وقد اجتازوها ليلاً بتمام المشقة، وطولها يقارب الاثني عشر فرسخاً. وقد التحق بالسيد عند اجتيازه هذا الطريق كثير من المجاهدين، وبعض الضباط والجنود العثمانيين، الذين لاذوا بالسيد خوفاً من القتل والأسر والسلب، وبينهم قائم مقام «قلعة صالح»، مع عائلته. وكانت سيرة السيد العظيم – أعلىٰ الله مقامه – في هذه المسيرة، ولاسيما في تلك الجزيرة، أن يركب ساعة، وينزل أخرى، حتى يتلاحق به المجاهدون، لأنه أبوهم الروحي العطوف، الذي يحدب عليهم، ويرأف بهم، ويتفقد شؤونهم الكبيرة والصغيرة، ويشاركهم في السراء والضراء.

وهكذا قطع القائد العظيم، وصحبه الكرام ذلك الطريق الوعر، حتى وصلوا إلى أول قبيلة «مياح» بعد طلوع الشمس بساعتين، ونزلوا وقت العصر عند «كريم» أحد رجال هذه القبيلة، وباتوا عنده تلك الليلة. وفي الصباح الباكر ساروا من عنده حتى وصلوا إلى «محمد الياسين» شيخ مياح، وتأخر عنده السيد وأصحابه المجاهدون ذلك النهار وتلك الليلة، ليستريحوا من عناء السفر ومشقة الطريق.

أما باقي العلماء الذين كانوا مع السيد، فقد توجهوا إلى «قضاء الحي»، ويبعد عن منطقة مياح بنصف فرسخ تقريباً، وقد كان – حتى ذلك الوقت – تحت تصرف الحكومة العثمانية.

ولما علم «محمد صالح شكارة» أحد وجهاء مدينة الحي بنزول السيد

وأصحابه عند «محمد الياسين»، جاء من الحي وزار السيد، وطلب منه بكل رغبة وإصرار، أن يرحل معه إلى الحي، وينزل عنده ليحظى بشرف ضيافته وخدمته، فأجابه إلى ذلك، بشرط أن يمهله ذلك اليوم ليستقر ويستريح، ثم يأتيه في اليوم الثاني إن شاء الله، فوافق على ذلك، وعاد إلى بلده مسروراً.

وفي اليوم الثاني تحرك موكب التضحية والجهاد، يتقدمه الإمام القائد العظيم، وأشباله الكرام، ومعهم العلامة المجاهد الميرزا محمد رضا الشيرازي، فاستقبله صاحب الدعوة وأهالي الحي استقبالاً عظيماً، ورحبوا به غاية الترحيب، ونزل عنده سبعة أيام، كان فيها موضع الحفاوة والتكريم من مختلف الطبقات.

وكان من نية السيد وعزمه أن يذهب بعد ذلك إلى «الكوت»، ليرابط فيها مع الجيش الإسلامي، للدفاع عن حوزة الدين وبلاد المسلمين، وأن لا يعود إلى وطنه مادام هناك موضع للجهاد، أو حاجة إلى الإسناد.

وعند ورود السيد إلى «الحي» أبرق القائد العسكري العام «نور الدين بك» من الكوت – وكان مقيماً فيها يوم ذاك – إلى قائم مقام الحي، يسأله عن سلامة الزعيم الديني الكبير، ويطلب منه أن يرفع إلى مقام سماحته سلامه واحترامه وتقديره، وأن يخبره بيوم حركته إلى الكوت، ليهيئ له ولأصحابه مركباً خاصاً، فأبى السيد ذلك، وأمر هو بإحضار سفينة تقلّهم إلى حيث يريدون.

وفي عصر اليوم الثالث من شعبان سنة ١٣٣٣ هـ تحرك سيدنا المجاهد

الأعظم، وانجاله الأعلام، وأصحابه الكرام، ومعهم حجة الاسلام السيد مصطفى الكاشاني – طاب ثراه –، وساروا إلى «الكوت»، ووصلوا ليلة الخامس منه إلى منطقة «وادي الحبيب» أحد أمراء ربيعة، وباتوا ليلتهم عنده. وفي صبيحة اليوم الخامس منه دخلوا الكوت، واستقبلوا بالحفاوة والتعظيم. ثم نزل سيدنا المهدي وأولاده وأصحابه عند «الحاج حسن الحاج جودي السعيدي» بطلب منه. ونزل السيد الكاشاني ومن معه في مكان آخر، وبقي الكاشاني هناك أياماً، ثم عاد إلى وطنه مأجوراً مشكوراً.

أما آية الله العظمى شيخ الشريعة – طيب الله ثراه – فقد عاد إلى وطنه من قضاء الحي، ولم يصل إلى الكوت، فشكر الله سعيه، وأجزل له المثوبة والأجر، ورفعه إلى عليّين.

وأما سيدنا الإمام المهدي زعيم النهضة، ورئيس المجاهدين – قدس الله سره – فقد لبث في الكوت مدة أربعة أشهر كاملة، مع أولاده وجمع من العلماء والمجاهدين. وقد أصابه هناك مرض شديد اضطره إلى المعالجة، واستدعاء الأطباء، ولكنه مع ذلك رابط فيها أشد المرابطة، وجاهد في الله حقّ الجهاد، وواصل جهوده ومساعيه، في سبيل المحافظة على بلاد المسلمين ومقدساتهم.

ورابط في الكوت معه أيضاً من العلماء الأعلام الأمام المجاهد العظيم الشيخ مهدي الخالصي – قدس الله روحه –، والعلامة المجاهد الكبير السيد عبد الرزاق الحلو – نور الله ضريحه –، وأبليا في سبيل الله بلاءً حسناً،

ونصحا لله سبحانه غاية النصح، وكانا من المجاهدين الأبرار، ومن المصطفين الأخيار.

❊ ❊ ❊

وكان مركز الجيش الإسلامي الذي جمعه القائد العام «نور الدين بك» في شرق الكوت، في منطقتين «الفلاحية» و «السن»، وهما استحكامات طبيعية في طرفي دجلة. وكان العدو قد أعد العدة للهجوم على هذه القوة العسكرية الكبيرة. وفي أوائل ذي الحجة هجم - بقوة هائلة - على مراكز الجيش الإسلامي، فاضطرته إلى الانسحاب ليلاً من الكوت بعد مقاومة عنيفة. فأرسل السيد إلى الشيخ الخالصي والسيد الحلو، وأشار عليهما بلزوم الانسحاب قبل دهم العدو، وأن يكون الخروج عن طريق البر، في نفس الليلة التي يخرج فيها الجيش. وبدأوا فعلاً بالانسحاب، في الساعة السابعة -غروبية- من الليل، وعبروا إلى الجانب الآخر حتى لايدركهم العدو. وفي تلك الليلة أصاب السيد رمد شديد في عينه، فاضطر إلى البقاء ليلتين عند قبيلة ربيعة، وفي اليوم الثاني مرت عليهم بواخر العدو قاصدة مدينة «النعمانية»، وهي تبعد عن الكوت بمقدار ستة فراسخ تقريباً، فالتجأ السيد وأصحابه إلى السفر عن طريق «عفك والدغارة»، وقد أحضرت له ولأصحابه الخيول، وهناك اضطر إلى أن يقطع - على شيخوخته وضعفه ومرضه - جزيرة عفك الطويلة راكباً على فرس، وهو مشدود العينين،

وبخدمته رجل من ربيعة يقود الفرس.

وفي اليلة الثانية من ركوبه – رضوان الله عليه – بلغ أول عفك، فنزل عند «مناحي آل الحاج طرفة»، ثم واصل السير إلى محل «الحاج مهدي الفاضل» وأخيه «الحاج صلال»، ثم واصل السير إلى محل «الحاج مخيف»، وأقام عنده تلك الليلة، وأمر بإحضار سفينة له ولأصحابه عند الصباح للتوجه إلى موطنه، وكلما حاول الحاج مخيف أن يقنع السيد بالبقاء عنده عدة أيام، ليتشرف بخدمته وضيافته، أبى السيد، ذلك، واعتذر منه بأن الأمد قد طال عليه، والناس في الكاظمية وبغداد ينتظرونه بفارغ الصبر، وفي غاية القلق.

وفي الصباح تحرك موكب التضحية والجهاد، وقطعت السفينة ليلتين حتى وصلت إلى محل السيد الجليل «السيد حسين»، نجل الشاعر الكبير والأديب المعروف «السيد حيدر الحلي» – قدس الله سره –، فأقام السيد عنده ليلة واحدة، ثم توجه في صبيحتها إلى «الحلة» ووصلها عصراً، وحلّ ضيفاً مكرّماً عند الوجيه المعروف «الحاج حمزة الشهربانلي»، وبقي عنده ليلة واحدة أيضاً، زاره خلالها علماء الحلة، وقد ألحوا عليه أن يمكث عندهم عدة ليال، كما ألح الحاج حمزة نفسه، فأبى السيد قبول الدعوة، وشكرهم على عواطفهم الكريمة، ومشاعرهم الطيبة.

وفي الصباح توجه السيد بأصحابه إلى موطنه، وما أن وطئ أرض «الكاظمية المقدسة» حتى أغلقت الأسواق، وعطلت الأعمال، وجعل الناس

يبشر بعضهم بعضاً بوصول الأسد إلى عرينة. وكان ذلك في اليوم الثامن والعشرين من شهر ذي الحجة، سنة ١٣٣٣هـ وجاء الناس اليه، وازدحموا عليه يتبركون به ويسلمون عليه، فتوجه ـ رضوان الله عليه ـ أولاً إلى «الحرم المطهر» لزيارة الإمامين الكاظمين ﴿عليهما السلام﴾، قبل الدخول على أهله وذويه ـ كما هي عادته في كل سفر ـ، فانتظره الناس حتى خرج من الحرم الشريف، وساروا معه إلى «الحسينية الحيدرية»، وهناك جلس للناس أياماً عديدة، يستقبل الوفود المتوالية، والحشود المتتالية، التي تقاطرت على الكاظمية من كل جهة ومكان.

* * *

سيرته في الجهاد

دامت رحلته العظيمة ونهضته الجبارة سنة كاملة إلا أياماً قليلة، كان فيها المثل الأعلى للزعيم الروحي العظيم، والقائد الديني المحنك، والبطل الإسلامي الفذ، الذي لاترهبه قوة الأعداء، ولاتثني عزيمته الخطوب، ولا تأخذه في الله لومة لائم.

وكانت سيرته مع أصحابه في تلك المدة الطويلة، أنه كان كأحدهم لايتميز عنهم بشيء، ولايختص دونهم بأمر، بل يواسيهم ويشاركهم في جميع أحوالهم وشؤونهم، حتى في مآكلهم ومنازلهم، على كبر سنه، وضعف بدنه، وعلو مقامه. حتى إن المجاهدين في الليلة الأولى من سفرهم بالباخرة لم

يتمكنوا من إعداد عشاء مطبوخ لهم سوى «الصمون والتمر»، فصنع نجله الأصغر السيد راضي طعاماً خاصاً له ولأخيه السيد أحمد - حيث كان مريضاً -، ولما قدّمه بين يديه، سأل عن طعام المجاهدين، فقيل له: هو الصمون والتمر، إذ لم يتيسر في هذه الليلة طبخ الطعام لانشغالهم بحمل الأثقال إلى الباخرة، فأبى السيد أن يتناول من طعامه الخاص، وقال: «لا آكل إلا ما يأكله سائر المجاهدين» ولما رأى ولده السيد أحمد من أبيه ذلك أبى أن يأكل منه أيضاً - رغم مرضه -، وأكل السيد الصمون والتمر أسوة بالمجاهدين، مع أن عمره الشريف قد تجاوز الثمانين.

وكان لايلبي أية دعوة طعام خاصة، إلا إذا كانت له ولعموم أصحابه، وكان يقول كلمته المأثورة: «إني لا أفارق المجاهدين، بل أكون معهم حيثما كانوا».

وكان من سيرته - رضوان الله عليه - أن يتقدم بنفسه قبل غيره إلى ساحة الحرب بكل ثقة واطمئنان ورباطة جأش، وهو يشجعهم على النزال، ويشوقهم إلى القتال، ويبشرهم بأجر الصابرين، وثواب المجاهدين.

وكان من ثبات نفسه وشدة باسه، أن لايرضى بمغادرة خبائه مهما استهدفه العدو بالقنابل والقذائف، وكلما يطلبون منه مغادرة المكان يقول لهم بكل قوة وعزيمة ومضاء:« هذا كهفي وحصني»، وهو يشير إلى الخباء.

وكان من عظيم عطفه وحنانه، وحسن تدبيره وسياسته، ماحدّث به حجة الإسلام الشيخ حسين الشيخ مشكور - دام ظله - من أن الحكومة

العثمانية اتهمت بعض رؤساء القبائل العربية بالاتصال بالإنكليز، وحكمت عليهم بالإعدام، وحاولت تنفيذ الحكم، فأرسل السيد – طاب ثراه – ولده المرحوم السيد راضي، إلى القائد العام، وبلّغه أمره بضرورة العفو عن هؤلاء المحكومين، في هذه الظروف العصيبة، لأن إعدامهم يحدث بلبلة بين صفوف العشائر، وربما يؤثر على معنويات المحاربين، بالإضافة إلى أن التهمة لم تكن ثابتة بصورة قطعية، فخضع القائد العسكري العام لأمر القائد الديني العام، وأصدر عفوه عنهم.

❊ ❊ ❊

حاله بعد سقوط بغداد

لم يطأ الإنكليز أرض بغداد حتى توالت على السيد الهموم، وتكاثرت عليه الأحزان، لأنه كان يقدر – بثاقب رأيه وعميق نظره – ما سيجر دخول الكافرين إلى بلاد المسلمين من المحن والويلات، وما سيعقبه من تزلزل في العقائد، وتبلبل في الأفكار، وتبدل في المقاييس، وتفسخ في الأخلاق، وتحلّل من الضوابط والقيود.

كان سيدنا الملهم ينظر إلى ذلك بنور الله، فيعظم عليه الخطب، ويشتد عليه الكرب، ويثقل عليه الأمر. وكان كل أمله يوم خرج ويوم نهض، أن يتمكن من صد المعتدين الغزاة، وينقذ بلاد المسلمين من الشر والبلاء، ولكن ضعف الجيش العثماني، وخيانة بعض قواده، وتخاذل بعض العشائر،

مكنت العدو من الاحتلال، وعرّضت المجاهدين للأهوال.

كان السيد ـ قدس سره ـ يبكي ويتأثر كلما تمر على فكره هذه الخواطر الأليمة، وكان يردد كلمته المعروفة التي وعتها القلوب، وتناقلتها الأفواه، «كأني بالإسلام قد سقط من السماء إلى الأرض».

وكم حاول الإنكليز بعد الاحتلال أن يستميلوه بشتى الوسائل، وأن يغروه بالأموال الطائلة، فيرفضها أشد الرفض، ويأباها أشد الإباء، ولا يزداد إلا بعداً عنهم ونفوراً منهم.

وكان بعض قوادهم ورؤسائهم يزورونه في داره، فيرون منه الإعراض والانقباض، فيتعجبون من صلابته في عقيدته، وإخلاصه لأمته، وحبه لوطنه. وقد مر أحدهم في الشارع على مقبرته بعد وفاته. وكان العمال يرصفون على جدران المقبرة الخارجية كتيبة من «القاشاني» الملون فقال: «ينبغي للشعب العراقي أن يشيد مرقد هذا الرجل العظيم – الذي كرّس حياته في خدمة مبدئه وأمته، وجاهد في سبيلهما – بالذهب الخالص».

❊ ❊ ❊

موقفه الإصلاحي العظيم في كربلاء

لم يلبث سيدنا المعظم - بعد رجوعه من الجهاد المقدس - قليلاً حتى ثارت فتنة عمياء، بين الحكومة العثمانية وبين مشايخ كربلاء كادت أن تهلك البلاد والعباد، وتؤدي إلى أسوأ النتائج، وأوخم العواقب.

وسبب هذه الفتنة أمران:

أحدهما: ظغط الحكومة على الأهلين، وتعسفها في الحكم.

ثانيهما: محاولة بعض زعماء كربلاء التمرد على السلطة الحاكمة.

حتى إن رجال الحكومة رموا بقذائفهم النارية بعض الدور التي اعتصم فيها المشايخ وأتباعهم، ونسفوا قسماً منها، وقابلهم المعتصمون بالمثل، وفتحوا الماء على الأراضي المحيطة بالبلد، لمنع هجمات القوات الحكومية. فانسحب رجال الحكومة إلى «المسيب»، وأبرقوا إلى القائد العام «خليل باشا» يطلبون منه النجدة، فأرسل لهم قوة كبيرة وأسلحة كثيرة، وأمرهم بمهاجمة المدينة المقدسة.

فلما رأى أبناء كربلاء أن ميدنتهم مهددة بالخطر، استغاثوا ببطل الإسلام،

ورائد الأمة، سيدنا الإمام المهدي – طيب الله مثواه –، وتواترت عليه رسلهم وكتبهم، وهي تقول: «إن لم تغثنا الآن لم‌تر لعتبة كربلاء أثراً، ولم تسمع لأهلها صوتاً»، فاضطلع – أعلى الله مقامه– بتلك المهمة الخطيرة، وأرسل إلى القائد العام جماعة من الوجوه والأشراف، وفي مقدمتهم كليدار الكاظمية، المرحوم الشيخ عبد الحميد، والمرحوم نظام السلطنة، وأمرهم أن يوبخوا القائد على هذا الأمر الفظيع، وكيف يسوغ له انتهاك قدسية هذه العتبة الطاهرة، وسفك الدماء البريئة من أجل أفراد معدودين؟!.

وفي تلك الفترة ورد إلى زيارة السيد – طاب ثراه – ناظر الحربية العام «أنور باشا»، وقدم له تمام التعظيم والتبجيل والاحترام، وأظهر له إعجابه البالغ بمواقفه البطولية الخالدة في ميادين القتال. وفاوضه السيد حول إطفاء الفتنة في كربلاء بالطرق السلمية، دون اللجوء إلى القوة والعنف، فأجابه ناظر الحربية إلى طلبه الكريم.

ثم زاره بعد ذلك مدير الشعبة العربية « عبد الحليم بك»، وبلّغه سلام «أنور باشا» ناظر الحربية العام، وأخبره أنه سافر إلى الأستانة لبعض مهماته الرسمية، وانه يعتذر عن زيارة سماحته لكثرة مشاغله.

ثم تفاوض معه حول مشكلة كربلاء، فاستقر الرأي على أن المشكلة لايمكن حلها إلا إذا تصدى السيد بنفسه الزكية، إلى جمع الكلمة، وإطفاء الفتنة، وحسم النزاع. فوافق – قدس الله روحه – على السفر إلى كربلاء، في سبيل المصلحة العامة.

ثمّ توجه من الكاظمية إلى كربلاء بعد أن صحب معه ثلاثة من أولاده، وهم: السيد عبد الحميد، والسيد أحمد، والسيد راضي، وجماعة من العلماء والزعماء والوجوه، كالشيخ عبد الكريم الجزائري، والميرزا محمد رضا الشيرازي، والشيخ عبد الحميد الكليدار، وغيرهم، ورجلين من الحكومة، وهما عبد الحليم بك، مدير الشعبة العربية، ورجل حكومي آخر، ودخل كربلاء صبيحة اليوم السابع والعشرين من شهر رجب، سنة ١٣٣٤هـ وهو يوم المبعث النبوي الشريف.

فما أن وصل موكب الإصلاح إلى حدود البلد المقدّس، حتى استقبلته الجماهير الغفيرة من أهالي كربلاء على اختلاف طبقاتها، من الرجال والنساء والكبار والصغار، يتقدّمهم العلماء والرؤساء والأشراف، ولم يبق أحد لم يخرج لاستقبال سيدنا المصلح الأعظم إلا الضعيف والضعيفة من الناس، حتى قيل إنه لم يُر مثل هذا الاستقبال العظيم قبل هذا اليوم.

دخل السيد إلى البلد، وأهله في غاية الفزع والهلع، حتى إنّ النساء كنّ يتصارخن ويلطمن على رؤوسهن، فواحدة تندب أباها، والأخرى تندب أخاها، والثالثة تندب ولدها، والرابعة تندب بعلها. وكان الخوف - من هجوم القوات الحكومية من جهة، ومن غزو الأعراب من جهة ثانية، ومن عبث العابثين من جهة ثالثة -، قد عمّ جميع سكان البلدة المقدّسة، حتى هاجر قسم منهم إلى الأطراف، وعزم آخرون على الهجرة، وكانت أصوات القذائف تلعلع في كلّ صوب، وتسلب الراحة من القلوب، وتمنع الكرى عن

العيون.

ولكن ما أن استقر السيد الاعظم في ذلك البلد الطاهر، حتى ساد الأمن والاستقرار، ورجع اليها كلّ من هاجر منها، لأنّه – رضوان الله عليه– أمر حين وصوله بإلقاء السلاح فوراً، وأن لاتُثار إطلاقة واحدة. فلما ذاق الناس طعم الأمان، وحلاوة الاطمئنان قالوا للإمام المصلح الكبير: (كما أن الله قد بعث جدّك الأعظم﴿صلى الله عليه وآله﴾ في هذا اليوم رحمة للعالمين، فقد بعثك اليوم رحمة لنا).

* * *

أمّا الإجراء الذي اتخذه السيد مع الحكومة القائمة فإنّه كتب إلى القائد العام (خليل باشا)، وطلب منه أن يعزل الجهاز الحكومي السابق في كربلاء، وينصب مكانه جهازاً جديداً صالحاً، بحيث يرعى لهذا البلد الطاهر حرمته وقدسيّته ومكانته العظمى في قلوب المسلمين، وضمن له – إن وفى بذلك – موافقة الأهلين وطاعتهم. فلبى القائد طلب السيد الرائد، وعزم على إرسال جهاز حكومي جديد.

وفي هذه الفترة، وقبل وصول اعضاء الجهاز الجديد، حاول السيد –عدة مرات – التوجّة إلى النجف الأشرف لزيارة جده أمير المؤمنين﴿عليه السلام﴾، ولكن الناس كانوا يتوافدون عليه، ويزدحمون عنده، ويرجونه البقاء في بلدهم ريثما يصل المتصرف الجديد، وتطمئن الأوضاع، ويقولون له: (إنا قد كسبنا بكم حياة جديدة، وإنّ الأمن سائد الآن بفضل وجودكم، وإنّ البلدة

خالية من رجال الحكم، فالصلاح أن لاتفارقوها قبل ورود الحكام الجدد)، فكان – أعلى الله مقامه – يجيبهم إلى طلبهم، لأنه يراه موافقاً للمصلحة العامة.

ولم يزل عندهم حتى وصل اعضاء الجهاز الحكومي الجديد، وعادت الأمور إلى سيرتها الأولى، واستتب الأمن والنظام، وهدأت القلوب الواجفة، واطمأن الناس على نفوسهم وأموالهم واعراضهم، وكلّهم يضرعون إلى الله العلي القدير، أن يكلأ سيدهم ومنقذهم العظيم برعايته الصمدانية، وان يجزيه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

ثمّ ودّع مدينة كربلاء المقدّسة في اليوم الرابع عشر من شهر رمضان المبارك قاصداً بلده الكاظمية المقدسة، بعد أن أقام في كربلاء مدّة شهر ونصف، يعمل – بكلّ قواه – من أجل منفعة الجميع، وفي سبيل الصالح العام.

* * *

ولقد أشارت إلى هذه المأثرة الإصلاحية العظيمة – بصورة موجزة – مجلة «المرشد»[1] الغراء، حيث قالت عند ترجمة سيدنا آية الله المهدي ـقدس سره ـ مانصّه: «قام المترجم له بأعمال إصلاحية جمة تفوق حدّ الإحصاء، منها: لما حدث الاختلاف، ووقع التشاحن والتباغض والتطاحن في كربلاء سنة ١٣٣٤هـ بين الحكومة التركية والأهلين، وذلك بسبب مداخلة بعض المتمردين الذين أثاروا عواطف الأمة وحرّكوا ساكنها، حتى اضطرّت

١–الجزء ١٠، المجلد ٢، الصادر سنة ١٣٤٦ هـ

الحكومة أن تنسحب عن كربلاء، وتهاجم البلاد بعد التأهب والاستعداد، حتى استاء الأهلون استياءً شديداً، وكتب اليه فريق من علمائها واشرافها يندبونه لإصلاح هذه الحادثة، فلبى طلبهم، وسار من وقته – وهو إذ ذاك مريض – مع بعض انجاله وأتباعه إلى كربلاء، ولما وصلها تلقّاه الجمهور على اختلاف طبقاته لاستقباله. وبقي ماكثا في كربلاء، حتى جمع الكلمة، واصلح بين الفريقين، وله أعمال إصلاحية كثيرة غيرها».

❊ ❊ ❊

وفـــاتـــه

لكلّ إنسان أجل، ولكلّ أجل كتاب، سنّة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

والموت لا يفرق بين إنسان وانسان، فالكلّ أمامه شرع سواء.

فحياة سيدنا الأعظم مهما كانت حافلة بالبطولة والعـظمة، والتـضحية والجهاد، فإنّها لابدّ وأن تنتهي إلى حدّ، ولابد وأن تصل إلى نهاية، إذ ليس للبقاء والخلود، في هذه الدنيا من سبيل، وإلا لكان الأنبياء والأوصياء أحقّ بهذا البقاء، وأجدر بهذا الخلود.

لم يزل سيّدنا المجاهد العظيم ـ بعد الاحتلال الأجـنبي ـ يُـعاني الآلام، ويكابد الهموم بحيث لا يقرّ له قرار، ولا يطمئن له بال، وهو مـنهدّ الركـن، موهون القوىٰ، حتى فاضت نـفسه الزكـية، وانـتقل إلى الرفـيق الأعـلى، وعرجت روحه الطاهرة إلى ربّها راضية مـرضية، وقـد تـلقتها المـلائكة بالبشرىٰ: أن لا تخافي ولا تحزني وأبشري بالجنة. واستقبلها الهتاف الإلهي الكريم: ﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي

عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾[1].

وكانت وفاته – رضوان الله عليه – عند صلاة المغرب والعشاء، من ليلة الحادي عشر من محرم الحرام، سنة ١٣٣٦هـ فارتج البلد بالبكاء والصراخ والعويل، وازدحمت الحسينية الحيدرية بمختلف طبقات الناس، وهم يلطمون علىٰ الرؤوس، ويضربون على الصدور، ويندبون قائدهم الكبير، ورائدهم الفذ، وإمامهم العظيم. ثم تفرق الناس عند منتصف الليل إلى منازلهم. وفي الصباح الباكر تقاطرت الجموع الغفيرة على الحسينية من كلّ فجٍ عميق، وقد تعطلت الأعمال، وأغلقت الأسواق، ولبس الناس أبراد الحداد، وانتظمت المواكب، ورفعت الرايات، وشُيع تشييعاً منقطع النظير، حتى قيل انّ الناس لم يروا مثله قط، غير تشييع الإمام الشيرازي الكبير، وبكى عليه الصغير والكبير، والقريب والبعيد، حتى إن المرحوم الشيخ عبد الحميد الكليدار، كان ينحب في تشييعه وعلى قبره، نحيباً عجيباً وينشج نشيجاً غريباً، ويبكي عليه بكاء الوالهة الثكلى، ويقول: «إني ماعرفت السيد حقّ معرفته إلا بعد أن سافرت معه في الجهاد، واطلعت على سيرته وسريرته، وسبرت ظاهره وباطنه، وخبرت مناقبه وخصائصه، ورأيت بعيني ورعه وزهده وتقواه». مع العلم انّ الشيخ رحمه الله كان من قوة قلبه وشدّة جلده، وعظيم رجولته، أنه مابكى علىٰ أحد قط، حتى عند فقد أولاده وخاصته.

١– سورة الفجر: ٢٧ – ٣٠.

هذا، وقد صلى على جثمانه ولده الذي قام مقامه من بعده الحجة الكبرى السيد أسد الله بطلب من آية الله العظمى الميرزا محمد تقي الشيرازي، وحجّة الإسلام السيد مصطفى الكاشاني - وكانا يومئذ في الكاظمية - فإنّهما قدّماه للصلاة على أبيه، واقتديا به، واقتدى به الناس، ثم دفن في مقبرة الأسرة الخاصة في الحسينية الحيدرية. واقيمت له محافل التابين، ومجالس الفاتحة في أنحاء البلاد، ورثاه الشعراء والأدباء بقصائدهم الغراء.

منهم الأديب الشهير المرحوم السيد حسون القزويني، رثاه بهذه القصيدة العصماء:

طرقت فزلزل وقعها أطوادها نكباء أروت بالهدىٰ إيقادها
جذّت يد المجد الأثيل وأغمدت بحشا العلى والمكرمات حدادها
قد كهّمت بوقوعها صمصامها الماضي الصقيل وحطمت ميّادها
بل هدّمت سور المعالى والتقى والمكرمات وفتتت أكبادها
بل جفّفت بحر العلوم وأقلعت سحب النوال وخيّبت وُفّادها
وبغارة شعواء قد شنت على آل النبي الأنجبين طرادها
دهياء لم يأت الزمان بمثلها قدحت بها أم الخطوب زنادها
ورزية سبت العقول بوقعها ذرّت على الدين الحنيف رمادها
أخفت على «المهدي» كوكب سعدها من أدركت فيه الأنام رشادها
علامة الدهر الذي ألقت له غُلب الرجال زمامها وقيادها
فهو الذي ملأ الزمان مكارماً هيهات أن تحصي الأنام عدادها
وهو الذي حاز الفضائل كلّها وسما على الغلب الكرام وسادها

لاغــرو شرعــة أحمــد لمــصابه أن حـرّمت وجـداً عـليه رقـادها
وعليه - عمر الدهر - غير مـلومة وأبـيك أن لبست عـليه حـدادهـا
أو أن مــن عـظم الرزيـة والأسى والوجد قـَد شـقت عـليه فـؤادهـا
للـدين قـد بـذل النـفيس ونـفسه والشرعــة الغـرا انـتصاراً شـادها
ودَّ«الضُراح»[1] ضريح نفس قد زكت كانت مـن التـقوى لعـمرك زادهـا
يـادهر مـالك قـد أسأت كـرامـها وهــدمت قـسراً كـهفها وعـمادها
طــاحت شـظايا قـلبها لو لم تكـن مسكت بأيــديها جـوىً أكـبادها
صبراً بني الهـادي الذيـن تسـابقوا في المكــرمات فســابقوا أمجـادها
وبــني المـناجيب الذيـن تسـنّموا مــتن الفــخار وأكــرموا وُفّـادها
ما مات من أبـقى الهــمام «حمـيدها» «أسداً» «وأحمد» «هادياً» أجوادها
و «رضيّها» السامي المقام «كريمها» ذا الفخر من غرف المكارم شـادها
والندب «صالحها» التقي «أمـيرها» والشهم «صادقها» الأغر جـوادهـا
أقمــــار تم أشرقت بــسما العــلى وجـبال حـلم طـاولت أطـوادهـا
هدَتِ الأنام من الضـلال بـرشدها وبــفضلها قــد طـوّقت أجـيادها
وبجــــدها قــــد أدركت آمــالها وبمــجدها قـد أرغـمت حسـادها
صــبراً بـنى المجـد الأثـيل لنكـبة قد صدّعت قلب الهـدىٰ وجمـادها
فسقىٰ الإله ضريحه صـوب الرضـا ما أسكبت ديم السـحاب عـهادها

❊ ❊ ❊

١-الضراح: البيت المعمور في السماء تعمره الملائكة.

ومنهم العلامة الجليل المغفور له، السيد محمد العاملي، رثاه بهذه القصيدة العامرة:

معالم دين الله اصبحن بلقعا غداة بها ناعي الشريعة قد نعىٰ
نعىٰ من بني عدنان مشبع غرثها ومن كان من فهر إماماً ومصقعا
عراها الأسىٰ من فادح الخطب بغتة أذاب الحشا منها وثقّب أضلعا
وألوى «لويا» حين ضعضع طودها وألوىٰ من العلياء ليثاً وأخدعا
نعتك «أبا الهادي» شريعة أحمد وودّت بأن تمسي لجسمك مضجعا
وتلك المعالي الغر تنعاك للورىٰ لها العذر لو ماتت عليك توجعا
فأنْملك العشر اللواتي بفيضها تمدّ البحار السبع مهما تدفّعا
يبلّغ احكام الإله يراعها غداة علىٰ القرطاس يجري مرصّعا
فيا حيرة العشر العقول إذا بدا لهاالعُشر من معناك مرأىً ومسمعا
وكلّ بليغ قد غدا فيك «باقلا» إذا أمّ تبياناً لما فيك أودعا
فإن مزاياك العظام لَعُشْرُها يضيّق من أفكاره ما توسّعا
ليهنى ضريح ضمك اليوم إنّه غدا للهدى والدين مغنى ومربعا
فمن لبني عدنان بعدك يغتدي إذا ماعراها الخطب كهفاً ومفزعا
ألست الذى ألبستها ثوب عزّها فذلت لها السبع الأقاليم طيّعا؟
ألست الذي بالمكرمات حبوتها وأورثتها مجداً أعزّ وأرفعا؟
ألست الذي أورثتها خير منهل وناضلت عنها كلّ كرب مروّعا؟
فيامن سما بالعلم والفضل وارتقى على مفرق المجد الأثيل ترفّعا

أقامت لك الأملاك في الأرض والسما مآتم أشجان عليك تفجّعا
ولمّا لك اختار الإله جواره وناجاك داعي الحقّ لبيت مسرعا
لئن فقداك العلم والدين بغتة وأبكاهما ناعيك يهتف مسمعا
لعمري لقد خلفت خير بقية فمن نلق منها نلق شهماً وأروعا
بحور الندىٰ أيمانها، ووجوهها بدور أبت إلا مقامك مطلعا
فكم شيّدتْ للدين والعلم والتقى معالم مجد ساميات وأربعا
وطابت فروعاً حيث طابت أصولها لها الفضل يعزى حيث عنها تفرّعا
و «عبد حميد» من له الحمد خلة به الحمد مابين الأنام تنوعا
محامده الغرا تمنّع حصرها وأنى لنا إحصاء ماقد تمنّعا
وذا «أسد» الليث العفرنا ومن له ضراغمة الهيجاء تنقاد خضّعا
وبحرا ندىً كفّاه عند انطلاقها فكانا لتيار المواهب منبعا
فتىً قد أبى إلا المكارم حبوة كما قد أبى إلا الإمامة مرجعا
حباه بها «المهدي» قبل احتجابه فكانت له بالنص من غير مُدّعى
و «أحمد» من بالحمد أعيت صفاته وبات يراعي إثرها متتبّعا
يروم لها حداً وجمعاً وأنها لتأبى عليه أن تحدّ وتجمعا
ونهج الهدى «الهادي» لشرعة أحمد ومن حالف العلياء كهلاً ومرضعا
وعين الرضا «الراضي» ومن لرضائه غدون المعالي الغر تأتيه ركّعا
و«عبدالكريم»الندب من حالف العلى وحاز المعالي والمكارم أجمعا
وكان عن «المهدي» أكرم نائب وكان لأسرار الإمامة موضعا

بني حيدر دمتم لشرع محمد لساناً وعيناً بل وقلباً ومسمعا

* * *

ورثاه بعض الأدباء المعاصرين له بهذه القصيدة الرائعة:

هيهات تسكن زفرة الوجد من بعد فقد أبي الهدى «المهدي»
ونواه أوقد في الحشا شعلا هيهات يخمدها سوى العود
وجرت على الخد الدموع دماً فترى لها خداً على الخد
ادرى الزمان لمن اصاب فقد أودىٰ بعمدة شيبة الحمد
أودىٰ فطاح من الهدىٰ عمد عثر الزمان به على عمد
أسفاً عليه بدر داجية يمسي رهين صفائح اللحد
لله نازلة بنا صدعت كبد الهدى والعلم والزهد
وتداعت السبع الشداد أسى منها وأقوت أربع المجد
وتجاوبت فيها الورى جزعاً بالنوح والتعديد والوجد
والعلم أصبح نادباً أسفاً في فقد ذاك العالم الفرد
والأرض إن مارت فلا عجب في أن تمور بفقد ذا الطود
يامبعداً والقلب يتبعه هل بعد هذا البعد من عود؟
أدريت كم روح وكم جسد تفديك لو يجدي بأن تفدي؟
وأظلمّت الدنيا عليك أسى لمّا ازدهت بك جنة الخلد
وغداة شيّعت الورىٰ جسداً لك ماله في الدين من نِدّ

لم أدر يـــومُ الحـــشر أدركـــنا أم تلك كانت «غـيبة المـهدي»؟
بهـــداك أبـــصرنا الهـدىٰ فـإذا فـــارقتنا، مـــن فـيه نســتهدي؟
كـــم نهـضة في الديـن يـذكرها لك أهـــــله بـــالمدح والحـــمد
وكـــما ورثت المجـد عـن سـلف خـــــلّفت ذاك المجـــد للـــولْد
أكـــرم بهـم مـن ســادة عـقدوا هـــم للـــمعالي محكـــم العَـــقد
ورِثـــوا المكـارم عـن كـريم أب يـــروي مكـــارمه عـــن الجَـدّ
مـــا فـــيهم إلا هـــلال دجـــى يجـــلو ســـناه مـــطالع الســـعد
فـعميدهم «عـبد الحـميد» وقـد جـــلّت محـــامده عـــن العـــدّ
والسيد «الأسـد» المـهاب ومـن خـضعت لديـه ضراغـم الأُسْـد
ولـ«احمـــد» في الفـــضل مـرتبة جـــعلته واســـطة لذا العـــقد
والسيد «الهـادي» الذي عـبقت أخـــــلاقه كـــــمؤرج النَّـــد
وأخوهم «الراضي» ومن قدحت فـــيه المكـــارم أكـــرم الزنـــد
مـــن كـــان مـــثلهم مخـــلفه مـــن بـــعده مـــاسيم بـــالفقد
ابـــناء حـــيدر دمـــتم أبـــداً لكـــم العـــلى ومـــرافـــق المجـد

* * *

ورثاه بعض العلماء أيضاً بهذه القصيدة الفريدة، التي أشاد فيها بمـوقفه العظيم، في جهاد الكافرين:

أصيب الهدى وانقضَّ من ذروة المجد وهُدَّ بناء الدين في غيبة «المـهدي»

إمام هـدى قـد غـاب بـعد قـيامه بأعمال إصـلاح تـضيق عـن العـد
إمام هدى شِيْدَتْ به شرعة الهـدىٰ وشُـــدت بـــه أطـــنابها أيمـــا شـدّ
إمام هدى قد زِيْـن بـالعلم والتـقى وبالفضل والعـلياء والحـلم والمجـد
إمـــام هـــدى قـد قـام لله مخـلصاً بأعـــــماله لا يـــرغبَّن إلى حمـــد
إمام هدى لايرهب الموت في الوغى ويثبت في قصف القواصف كـالطود
يـــواسي العـــفاة المـــعدمين بمـاله ويعمل في دنـياه بـالنسك والزهـد
فكم من أياد منه بيض على الورى لهـا عـبقات مـن أريـج ومـن نَـدّ
جـــلائل أعـــمال وحـلّ مشـاكـل وتضحيةٌ في الدين جلّت عـن النِـدّ
ولمـــا أراد الكـــفر غـــزو بـــلادنا بجيش احـتلال لا بـشرط ولاقـيد
تصدى زعيم الدين سيدنا «المـهدي» بـــثورته الكـبرىٰ ومـوقفه الصـلد
فـــألهبها نـــاراً بـــفتواه مـــعلنا وجوب دفاع الكـفر بـالرد والصـد
فســـار بأهـــليه ومـــن شـد أزره يحامي عن الإسلام بالسمر والهندي
يـــضحي بـــنفس للإله نـــفيسة يجـــاهد بـــالأهلين والمـال والولد
بعيداً عن الأوطان - حولا - مجاهداً صبوراً على حرب العدى وعلى البعد
يدير بكفيه رحـى الحـرب صـابراً ويحمي حمى الدين الحنيف على جهد
يـــؤازره في ذلك الجـــهد ثـــلة من العـلماء الغـر في الحَـل والعـقد
فكانوا جميعاً كالشواظ على العـدى وفي لهوات الحرب يمشـون كـالأسْد
ولولا قـــضاء الله جـــلّ جـــلاله لردوا جيوش الكافرين عن الحـدّ
رماه الردىٰ في سهـمه فـتضعضعت وهـــدّت رواسي ديـــنه أيمـــا هـدّ

مرقده الشريف ٩١

وأنجب أعـــلاماً لشرع محـــمد شأوا في ذرى العلياء بـالجد والجـد

❊ ❊ ❊

هذا، وقد أرخ عام وفاته شيخنا الإمام المجـاهد، الشـيخ مـرتضى آل ياسين، بقوله: «إمامنا المهدي حقا غابا».

وقد أكمل هذا البيت، ووضع له الصـدر، الخـطيب البـارع، والأديب اللامع، الشيخ سلمان الأنباري، بقوله:

ففي جـنان الخـلد قـلتُ أرّخـوا: «إمـــامنا المـــهدي حـقاً غـابا»

❊ ❊ ❊

مرقده الشريف

بعد أن دفن سيدنا الإمام المهدي –طيب الله ثراه – في المقبرة الخاصّة، في الحسينية الحيدرية، سعى أهل الخير في إعمارها وتجديد بنائها، وفي طليعتهم ولده المرحوم العلامة المجاهد السيد راضي، حتى تمت على الوجه المطلوب، فأرخ الأدباء ذلك العام، وهو سنة ١٣٣٦هـ، بعدد من المقطوعات الشعرية الجميلة، وقد رُسم بعضها على كتائب رصفت على واجهتها الخارجية، تحت هذه الآية الشريفة: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَ أُوْلَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ، يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ

مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾[1]

منها هذه المقطوعة:

لمن روضةٌ قد فاح طيب شذاهـا ففاق شذا المسك العبيق شذاها؟
أقامت بها مـن آل حـيدر أسرة بها أيّـدت أحكـام شرعـه طـه
وأي مـقام حـاز مجـداً ورفـعة بمـهديّها الهـادي إمـام تـقاها
مقام حوى «المهدي» حجة عصره فأرخ: به قد غاب بـدر هـداهـا

وقد أكملها أحد انجال الإمام الفقيد، المرحـوم العـلامة المجـاهد حـجة الإسلام، السيد أحمد ببيتين آخرين، وهما:

ومـن قـبله فـيه «محـمد» مَـن بـه قـواعـد عـلم الديـن قـام بـناها
ثوى تالياً «للمرتضى» عـلم الهـدى كذاك «حسين» من به الشرع قـد باهى

❊ ❊ ❊

ومنها هذه الأبيات:

قـد بـنت أبـناء حـيدر مـشهداً بـالفضل يـذكر
حـلَّ فـيه كـل ليث ـ مـن بـني طـه ـ غـضنفر
فـاستلم مـنه مـغيبا لبـني الهـادي ومحـضر
غـاب قـدس فـيه أرخ: غـاب مـهدي بـن حـيدر

❊ ❊ ❊

١ـ سورة التوبة: ٢٠ ـ ٢١.

ومنها قول بعضهم:

تجلت بكِ الأنوار ياخير روضة ... وجادك بالأنوار أندى مسخّر
غداة انطوت للدين فيك معالم ... متى طاولتها الشم بالرغم تقصر
بكل خضمّ العلم ينميه «حيدر» ... إلى مورد بالفضل منه ومصدر
وحسبك بالمهدي فخراً أصابه ... ثراك فأثرى فيه عن كلّ مفخر
فيالثرىً باهى الثريا فأرخوا: ... فخارك بالمهدي من آل حيدر

❊ ❊ ❊

ومنها هذه المقطوعة:

ياتربة لم تحو أبراج السما ... ماقد حويتِ من عُلىً ومفخر
كم فيك أقمار فما عطارد ... وما هناك زحل ومشترى
طويتِ «آل حيدر» ومن بهم ... نشر الهدى يأرُج حتى المحشر
وأصبح «المهدي» منك نازلاً ... إلى ضريح بالثنا معطّر
يحسده الضُراح إمّا أرخوا: ... ضريح مهدي وآل حيدر

❊ ❊ ❊

ومنها هذه الأبيات:

روضة فاح شذاها ... فهي للأطياب عيبه
كم حوت من «حيدريّ» ... قد غدا للحمد شيبه
حلّها «المهدي» فطابت ... وهي فيهم قبل طيبة

فـــــابكه في غـــــيبتيه   وارع للـــــمهدي هـــيبة
يـــبكي تأريخـــي: وأبكـــي   إنّهـــــا أكـــبر غـــيبة

❊ ❊ ❊

ومنها هذان البيتان:

هـــذا مـــقام قـد سما هـام السما   لمـــا تـــضمن الإمـــام الســـيدا
بيت هـدى والعـلم في تـاريخه: قال هنا المـهدي غـاب والهـدى

❊ ❊ ❊

ومنها هذان البيتان أيضاً:

لقد غاب «مـهدي» الهـدى في ضريحه   فمـــن بـــعده في نور من نحن نهتدي؟
فناح الهدى لمّا نعى «الروح» روحه   وأرخت: لمّا ناح قد غُـيّب المـهدي

❊ ❊ ❊